



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



المغرب القديم في أواخر الاحتلال الروماني (347م - 429م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة

تحت إشراف:
الدكتور سعيد باحمد

من إعداد الطالبتين:
ملياني فاطمة الزهراء
لاقح بختة

لجنة المناقشة		
رئيسا	جامعة ابن خلدون تيارت	د. رشيد محـوز
مشرفا ومقررا	جامعة ابن خلدون تيارت	د. سعيد باحمد
مناقشا	جامعة ابن خلدون تيارت	د. نجاة حجاج

السنة الجامعية: (1445هـ - 1446هـ / 2024م - 2025م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ ﴿الروم 1-3﴾

الشكر والعرفان

نتقدم بالشكر والعرفان

إلى كل من قدم لنا حرفاً على طريق العلم والمعرفة،
ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور سعيد باحمد
الذي كان له الأثر الكبير في انجاز هذا العمل،
وعلى ما قدمه من توجيهات مستمرة ودعم علمي ومعنوي.
فبفضل نصائحه القيمة وصبره وتشجيعه لنا
تمكنا من تجاوز الكثير من التحديات التي واجهتنا في هذا العمل.
كما لا يفوتنا أن نشكر الأساتذة الكرام
الذين تشرفوا بمناقشة هذه الدراسة
وجميع أساتذة القسم على ما قدموه لنا
من علم ومعرفة طوال سنوات الدراسة.
والى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل بكلمة أو نصيحة أو دعاء،
لكم منا جميعاً اصدق التقدير ووافر الامتنان.

الإهداء

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهدي عملي هذا إلى مشجعتي الأولى على مواصلة مساري في الحياة والتي يعود لها الفضل في استكمال دراستي إلى رمز الحب والحنان أُمي الغالية، وإلى من هيا لي طريق المستقبل وكان له الفضل في نجاحي أبي الغالي وإلى كل أفراد عائلتي وإلى كل الأصدقاء والزملاء، وإلى كل أساتذة الحضارات القديمة كل باسمه حفظهم الله.

فاطمة الزهراء ملياني

الإهداء

إلى كل من كان لهم الفضل بعد الله في الوصول إلى هذه اللحظة ...
إلى الذين سكنوا القلب، ورافقوني في كل خطوة من هذه المرحلة،
إلى أُمي الغالية نبع الحنان ومصدر النور في حياتي إلى والدي العزيز، رمز القوة
والعطاء، لكما أهدي هذا العمل بكل فخر وامتنان. فما كنتم لأصل إلى هذا اليوم دون
دعائكما ومجهوداتكم.

وإلى إخوتي الأعزاء، مصدر دعمي وابتسامتي
إلى أساتذتي الافاضل، أنتم بناء العقول ورواد الفكر.
كنتم مثالا يحتذى به في التفاني، والنبيل، والرفعة الأخلاقية
إليكم جميعا

أهدي هذا العمل المتواضع، عرفانا وتقديرا لكل لحظة
كنتم فيها جزءا من هذا الطريق.

بختة لاقح

فهرس المحتويات

البسملة

الشكر والعرفان

الإهداء

المقدمة: أ

الفصل الأول

التقسيمات الادارية والانشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الامبراطوري

- أ- الأوضاع الإدارية 8
- أ- إصلاحات ديوكليديانوس 8
- ب- التقسيمات (المقاطعات الرومانية) 9
- II- الأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم: 12
- أ. الزراعة..... 12
1. وضعية الأرض 11
2. التوسع الزراعي:..... 14
- ب- الصناعة: 17
- ج- التجارة:..... 18
- د- الضرائب: 21

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية والعسكرية في المغرب القديم

- أ- ثورة الدواوين الريفيين وتحالفهم مع الدوناتيين (347م-411م): 27
- أ- تعريف الدواوين (Circumcelliones): 27
- ب - التحالف الدوناتى الدواوين 31
- ج - انتشار الدواوين في المغرب القديم (إفريقيا)..... 33
- II- ثورة فيرموس وتحالفه مع الدوناتيين(372م-375م)..... 37

- أ - تعريف فيرموس (Firmus) 37
- ب - تخالف فيرموس مع الدوناتيين 40
- III - ثورة جبيلدون والحركة الدوناتية (397-398م) 43
- أ - تعريف جيلدون (Gildon): 43
- ب - جيلدون والحركة الدوناتية : 45

الفصل الثالث

نهاية السلطة الرومانية في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

- I. بوادر ضعف السلطة الرومانية: 51
- أ - الاعتراف بالديانة المسيحية والانشقاق الديني 51
- ب - المغرب القديم جزء من الإمبراطورية الرومانية الغربية 53
- ج - الغزو الجرمني 60
- II. الغزو الوندالي للمغرب القديم 60
- أ - تعريف الوندال 60
- ب - ظروف غزو الوندال للمغرب القديم 61
- ج - حملة الوندال على المغرب القديم 65
- الخاتمة: 70
- ملخص الدراسة: 75
- الكلمات المفتاحية: 75
- قائمة البيبليوغرافيا: 91

المقدمة

المقدمة:

تعتبر دراسة تاريخ المغرب القديم من بين المواضيع التي لم تتضح معالم دراستها ذلك ما استوجب على الباحثين في التاريخ المغربي القديم بذل المزيد من الجهود من أجل توحيد وجهات النظر والرؤى ورفع اللبس وإلقاء الضوء على جوانب مهمة من تاريخنا القديم. كما يعتبر مجالا غنيا بالدلالات التاريخية والسياسية التي تساهم في فهم تشكل الهوية الحضارية من المغرب القديم عبر العصور، خاصة في الفترات التي شهدت احتكاك بين الحضارات المحلية والقوى الخارجية، ومن أبرز هذه الفترات فترة الاحتلال الروماني الذي شكل مرحلة مهمة في تاريخ المنطقة، فقبل دخول الرومان إلى المغرب القديم كان موطننا للحضارة القرطاجية والنوميديّة.

ومع اتساع نفوذ الإمبراطورية في حوض البحر المتوسط بدأت أعين روما تتجه نحو المغرب القديم مستغلة الاضطرابات السياسية وضعف بعض الممالك المحلية، إضافة إلى أنها وجدت في المغرب القديم منطقة غنية بالثروات الطبيعية مما جعلها هدفا للتوسع والهيمنة، وقد شكل هذا الاحتلال مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب القديم لما خلفه من آثار سياسية واقتصادية وثقافية ولا تزال شواهدنا قائمة إلى اليوم.

وفي بدايات القرن الأول للميلاد تمكنت الإمبراطورية من بسط نفوها على أجزاء مهمة من المغرب القديم بعد القضاء على مملكة موريثانيا، وهو ما أدى إلى إدماج المنطقة ضمن المنظومة الإدارية والعسكرية الرومانية، إلا أن هذه السيطرة لم تكن شاملة إذ بقيت مناطق شاسعة خارج النفوذ المباشر للرومان خاصة في الجنوب والمناطق الجبلية، مما جعل التوتر والمقاومة سمة ملازمة للعلاقة بين المستعمر والسكان الأصليين.

وخلال القرن الثالث الميلادي بدأت تظهر مؤشرات واضحة على تراجع قوة الإمبراطورية الرومانية نتيجة للأزمات الداخلية والضغوط الخارجية، الأمر الذي أدى إلى ضعف قبضتها على مستعمراتها وقد لعبت هذه الضغوطات المتمثلة في الهجمات الجرمانية

دورا رئيسيا في تفكك واضمحلال الإمبراطورية الغربية وعلى إثرها تمكن الوندال وهم إحدى القبائل الجرمانية من إقامة ممالك على أراضي المغرب القديم.

وتكتسي دراسة هذه المرحلة من التاريخ المغاربي أهمية بالغة في كونها تمثل فترة انتقالية بين التبعية للإمبراطورية الرومانية من جهة وبداية تشكل ملامح الاستقلال المحلي من جهة أخرى، كما تساعد في فهم التحولات العميقة التي عرفها المغرب القديم سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الديني في ظل الانسحاب التدريجي للرومان.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أوضاع المغرب القديم من سنة 347م وهي بداية الثورة الدوناتية إلى سنة 429م وهي سنة سقوط المغرب القديم في يد الوندال، إذ كانت هذه الفترة موزعة للأبحاث الأوروبية والجزائرية ومنها مذكرة الماستر حول نهاية الإمبراطورية الرومانية في المغرب القديم لخالد سلامي وآخرين⁽¹⁾، فإنها تميزت بالطابع القصصي وسرد الأحداث التاريخية دون نقدها واستخلاص العبر منها للاستفادة منها في الظروف الراهنة، كما أنها لم تركز على كشف العلاقة بين ضعف السلطة السياسية الرومانية في روما وتراجع نفوذها السياسي والاقتصادي في المغرب القديم، وبتعبير آخر مدى تضرر المغرب القديم من الأحداث السياسية والثقافية التي ميزت الإمبراطورية الرومانية في أواخر العصر الإمبراطوري الثاني وهي الإشكالية العامة لهذا البحث، وللتعمق في هذه الإشكالية طرحت مجموعة من التساؤلات الفرعية: فما هي الأساليب الإدارية الرومانية المطبقة لربط المغرب القديم بالسلطة الإمبراطورية أثناء العصر الإمبراطوري الثاني؟ وما هي الأهداف الاقتصادية من اهتمام الرومان بالمغرب القديم؟ وماهي عواقب انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم؟ ومصيره بعد ترسيم الديانة المسيحية؟ وماهو دور النوميديين والمور أو الأمازيغ إن صح التعبير للقذف بالرومان إلى البحر في ظل ضعف الجيوش

(1) خالد سلامي وآخرون: نهاية الإمبراطورية الرومانية في المغرب القديم في سنة 429م، مذكرة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة. جامعة ابن خلدون-تيارت، 2018/2017

الرومانية وتساعد الهجمات الجرمانية؟ وماهي الأسباب الحقيقية لغزو الوندال للمغرب القديم؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في الأساس على المنهج التاريخي الوصفي الذي يعد من أنسب المناهج لدراسة الظواهر والأحداث الماضية كما يسمح هذا المنهج بتتبع التطورات التاريخية كما وردت في المصادر وفهم السياقات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي رافقت ضعف وانسحاب الوجود الروماني في المنطقة، إضافة إلى أنه يختص بتقديم دراسة وصفية للموضوع على ضوء ما توفر من معطيات ومصادر أدبية.

ولإنجاز هذه الدراسة، تم تنظيم هذا العمل وفق خطة مقسمة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، ومنه جاء الفصل الأول بعنوان: الأوضاع الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب أواخر العصر الإمبراطوري الثاني والذي تضمن الإصلاحات الإدارية في المغرب وأهم الأنشطة الاقتصادية فيه، أما الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى أوضاع السياسة والعسكرية بإبراز أهم أشكال مقاومات سكان بلاد المغرب للاحتلال الروماني، بينما خصصنا الفصل الثالث لدراسة نهاية السلطة الرومانية في ظل الضعف العسكري الروماني وتساعد الغزوات الجرمانية.

ولتغطية هذه الفصول بالمادة العلمية المتعلقة بها اعتمدنا على كتابات المؤرخين الرومان والبيزنطيين، ومن أبرزها كتابات القديس أوغسطين الذي يعتبر من أشهر أباء الكنيسة الكاثوليكية والذي كتب كثيرا عن الدواوين والدوناتيين، بحيث يعتبر مصدرا معاصرا لهذه الأحداث وأفادنا هذا الأخير في دراسة حركة الدواوين، كما اعتمدنا على يوسابيوس القيصري الذي عاش ما بين 260م و339م، حيث يعتبر من أهم المصادر التي تساعد في فهم تطور الكنيسة المسيحية منذ نشأتها في القرون الأولى، والذي أفادنا في الفصل الثالث لدراسة الانشقاق داخل الكنيسة في العصور القديمة، هذا واعتمدنا على كتابات للمؤرخ البيزنطي بروكبيوس الذي شارك في عدة حروب رفقة القائد البيزنطي بيليزاريوس في حملته على إفريقيا، لذلك فإن مؤلفاته تشكل المصدر الأساسي لدراسة جزء هام من تاريخ المغرب

القديم، كما تطرق في كتبه إلى ثلاث محاور أساسية حيث خصص أولها لتاريخ الشعب الوندالي وكيفية دخوله بلاد المغرب مع استعراض موجز لملوك الوندال والأحداث الهامة التي ميزت الـ 100 سنة من حكمه، إضافة إلى كتاب أميانوس مارسيلينوس الذي يعتبر مصدرا معاصرا لأحداث القرن الرابع الميلادي الذي أفادنا في فصل الثالث في الإحاطة بأسباب انهيار الإمبراطورية الغربية.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع العربية والاجنبية العامة والخاصة مثل كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية لشارل أندري جوليان وكتاب الناصري سيد أحمد علي بعنوان تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري للذان أفادانا في التعديلات الإدارية التي قام بها ديوكليتيانوس في الولايات الإفريقية الرومانية، إضافة إلى دراسة الباحث الجزائري محمد البشير شنياتي التي تحمل عنوان التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي فمن خلاله فضلنا في الأنشطة الاقتصادية للمغرب القديم.

ولإنجاز هذه الدراسة واجهتنا العديد من الصعوبات تعود من جهة إلى نقص في معرفة اللغات القديمة مثل اللغة اللاتينية وهي اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية الغربية وضعف التحكم في اللغات الأجنبية، وبفضل الصبر والمثابرة والتوجيهات القيمة للأستاذ المشرف الدكتور سعيد باحمد تم تجاوز البعض منها وتحرير هذه المذكرة.

الفصل الأول

التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر

الإمبراطوري الثاني

I- الأوضاع الإدارية

أ- إصلاحات ديوكليديانوس

ب- المقاطعات الرومانية (التقسيمات)

II- الأنشطة الاقتصادية في المغرب القديم

أ- الزراعة

1- وضعية الأرض

2- التوسع الزراعي

-زراعة القمح

-زراعة الزيتون

ب- الصناعة

ج- التجارة

د- الضرائب

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

I- الأوضاع الإدارية

أ- إصلاحات ديوكليتيانوس:

عندما تولى ديوكليتيانوس (Diocletianus)* الحكم واجهته العديد من المشاكل منها كيفية المحافظة على وحدة الإمبراطورية ومنع حكام الولايات والأقاليم من الانفصال عن الدولة ومحاولة فرض هيبة الإمبراطور، وجاءت إصلاحاته لمنع انهيار الإمبراطورية وشملت إصلاحاته جميع أنظمة الدولة من النواحي الإدارية وشؤون الحكم.⁽¹⁾

ولكي يتفادى الثورات المحلية التي يقوم بها الجنرالات الطموحين في أجزاء الإمبراطورية قرر إعادة تنظيم الولايات وإجراء المزيد من التقسيمات عملاً بسياسة "قسم واحكم"، وكننتيجة لهذه السياسة زاد عدد الولايات الرومانية حوالي الخمسين⁽²⁾، حيث قام بإلغاء تقسيم الولايات الذي وضعه أغسطس (Augustus) وأصبح الإمبراطور هو الذي يتحكم في كافة الولايات ويعين حكامها وعلى هذا الأساس قسم بلاد المغرب إلى ولايات عديدة وذلك للاحتفاظ بالتقسيم السابق مع استحداث أقسام جديدة⁽³⁾، هذا وعمل على الفصل بين السلطة العسكرية والمدنية، وكان يأمل أن يكون العسكريون أكثر مقاومة للأمم المتوحشة والفرس وقام بزيادة عدد المقاطعات لتحسين إدارتها وليتمكن من مراقبة الحكام والولاة.⁽⁴⁾

*ديوكليتيانوس (Diocletianus) : (244 – 311 م) هو إمبراطور روماني عرف بإصلاحاته الإدارية والعسكرية، وبإدخاله نظام الرباعية الذي قسم فيه حكم الإمبراطورية بين أربعة حكام وتسهيل إدارتها. أنظر: جون بوزير، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، تر: كمال فهمي النجار، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص.ص. 223-230.

(1) محمد سالم اللافي: إصلاحات ديوكليتيانوس وأثارها السلبية والإيجابية على الإمبراطورية رومانية (284-305م)، رسالة الماجستير. جامعة المرقب، 2008، ص.21.

(2) أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري. القاهرة، دار النهضة العربية، ط.2، 1991، ص.410.

(3) أحلام ميسوعي ولويزة إسماعيلي: إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس وأثرها على المقاطعات الرومانية، "مقاطعات بلاد المغرب القديم نموذجاً" (284-305م)، مذكرة ماستر. جامعة الشهيد حمى لخضر، الوادي، 2019 / 2020، ص.106، 107.

(4) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة. تونس، الدار التونسية للنشر، ط.4، 1983، ص.275.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

ب- التقسيمات (المقاطعات الرومانية)

1. البروقنصلية أو زغوان:

اتخذت من قرطاجة عاصمة لها تجمع كل من دوقية بنزرت وقرطاجة ⁽¹⁾، تمتد من شمال تونس إلى الشمال الشرقي من للجزائر. ⁽²⁾

ويرى الباحث الفرنسي جيلبير-شارل بيكار (Gilbert-Charles Picard) أنها تمتد بين وادي مليان وسهول مجردة ومن أهم مدنها باجا (Vaga) ودوقية (Thugga) وبرج هلال (Thumusiada) مع إمكانية امتدادها إلى منطقة الكاف. ⁽³⁾

2. ولاية المزاق:

دوقية حضر موت وكانت تغطي بالخصوص أراضي الإستبس في تونس ويحكمها حاكم من طبقة مجلس الشيوخ (Consularis). ⁽⁴⁾

ويعرفها بلينيوس (Plinius) بأنها تمتد على حوالي 370 كلم تتميز بخصوبة كبيرة وذات إنتاج وفير، ويعتبر ديزاندج أن هذه الخصوبة هي التي جعلت الإمبراطور ديوكلتانوس يؤسسها ما بين البروقنصلية ونوميديا، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي وإشرافها على المعابر التي تمر بين شط الجريد والغرس والمسالك المؤدية إلى قابس جنوبا وتبسة غربا إلى جانب السهول الشمالية المؤدية إلى قرطاج، وبالتالي يمكن اعتبارها بمثابة بوابة رئيسية وعاصمة إقليمية. ⁽⁵⁾

(1) محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي. الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992، ص. 197.

(2) ش.أ. جولييان: المرجع السابق، ص. 276.

(3) يوسف عيش: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه. جامعة منتوري- قسنطينة، 2006/2007، ص. 43.

(4) م.ه. حارش: المرجع السابق، ص. 197.

(5) ي. عيش: المرجع السابق، ص. 44.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

3. ولاية طرابلس (تريبوليتانيا):

يرجح أن أصل هذه التسمية هوتري-بوليس (Tripolis) أي المدن الثلاثة، وهي مدينة لبدّة (Leptis Magna)، وأويا (Oea)، وصبراتة (Sabratha)، وتمتد حدود هذا الإقليم من مذابح الأخوين فيلايني شرقا وسالينوروم "شط الجريد" غربا وبلاد الجرامنت جنوبا، واتخذت من لبدّة الكبرى عاصمة لها.⁽¹⁾

4. نوميديا:

وقع تجزئتها إلى ولايتين: ولاية نوميديا وعاصمتها سرتا شمالا وولاية نوميديا العسكرية جنوبا عاصمتها لمبار، وابتداءا من سنة 313م ضم قسطنطين الولايتين وسميت قسنطينة تكريما له.⁽²⁾

ويرى عيبش أنه بعد إصلاحات ديوكليتيانوس يمكن تمييز 3 أنواع من نوميديا:

- **نوميديا الأصلية:** ويعود إنشاؤها إلى الفيلق الأغسطي الثالث، ثم إلى هيكلتها خلال الفترة السيفيرية، وإذ كانت قد ظلت حدودها من الغرب موريتانيا فيبدو أنها من الجهة الشرقية قد فقدت الشريط الرابط بين هيبون (Hippone) وثيفاست (Theveste) لصالح البروقنصلية.
- **نوميديا البروقنصلية:** اقتطعت من المناطق الشرقية وأصبح يحكمها مندوب عن البيروقنصل الإفريقي.

- **المقاطعة الكنسية لنوميديا:** وهي تشمل الإقليمين السابقين معا وتمتد من الحدود الموريطانية إلى ولاية إفريقية.⁽³⁾

(1) أحمد محمد أنديشه: التاريخ الاقتصادي والسياسي للمدن الثلاث. بنغازي، 1993، ص.104.

(2) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص. 276، 190.

(3) ي. عيبش: المرجع السابق، ص.46.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

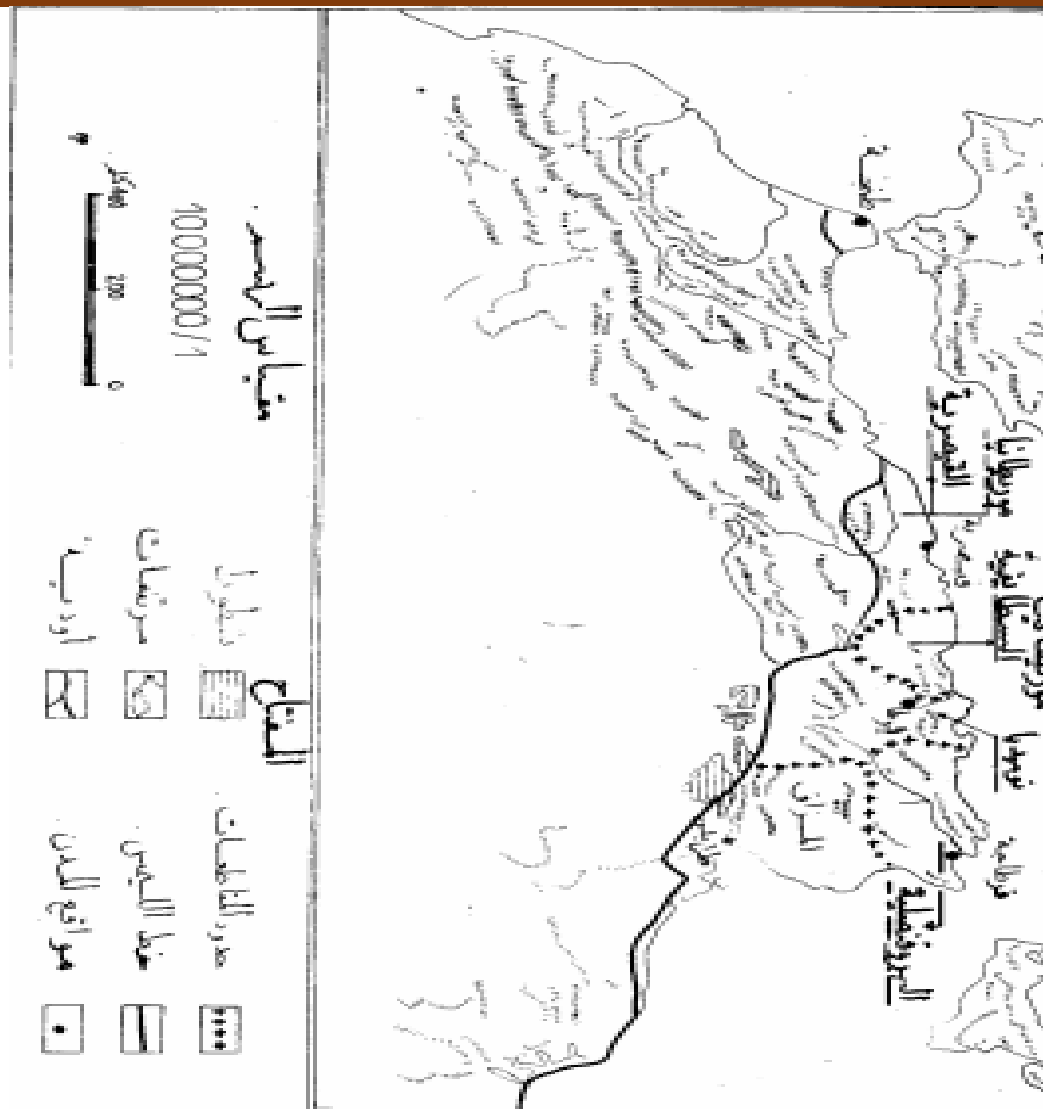
– موريتانيا:

فإن مساحتها تقلصت بشكل كبير خلال فترة حكم ديوكليتيانوس، فأجزاءها الشرقية أصبحت تشكل مقاطعة موريطانيا السطائفية وعلى ما يبدو حسب اعتقاد بعض الباحثين فإن الأجزاء الغربية منها إلى ما وراء نهر شلف فقدت روما السيطرة عليها وأصبحت تنعت بروما المتروكة.⁽¹⁾

أما موريتانيا الطنجية فلم يقع تقسيمها وإنما فصلت عن الإدارة الإفريقية وضمت إلى دائرة إسبانيا.⁽²⁾

(1) عبد الفتاح خنيش: "التنظيم الإداري للإمبراطور ديوكليتيانوس في إفريقيا وظهر مقاطعة موريطانيا السطائفية"، مجلة هيروdot للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.8، ع.3، نوفمبر 2024، ص.114.
(2) ش. أ. جوليان: المرجع السابق، ص.277.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر
الإمبراطوري الثاني



الخريطة 01: خريطة حدود المقاطعات الرومانية في أفريقيا خلال عهد ديوكليتيانوس⁽¹⁾.

(2) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص. 199.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

II- الأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم :

أ . الزراعة:

1. وضعية الأراضي:

كانت بلاد المغرب القديم بالنسبة للرومان مستعمرة للاستغلال لا لل عمران، ذلك أن التهافت على الأرض الزراعية كان شديدا من طرف الرساميل الرومان الذين قاموا باستغلال وامتناس ثروات البلاد عما ينوف القرن من الزمن.⁽¹⁾

حيث كان الاستيلاء على هذه الأراضي من أبرز أهداف الاحتلال الروماني، فروما كانت لا تخطو خطوة دون أن تكون مدعمة بقوانين صادرة عن هيئتها التشريعية، إذ عملت على نزع الملكية من القبائل ودفعت بها نحو الجبال والسهوب وفيافي الصحراء كقبيلة الموسولاميين وقبيلة النوميديين، بينما تحول أفراد هذه القبائل إلى أجراء لدى الملاك الجدد الذين ملكهم القانون تلك الأراضي.⁽²⁾

قسمت الأراضي المنتزعة من القبائل إلى قسمين أحدهما ترك تحت أيدي القبائل كفريسة عجفاء تقيم عليها ما تبقى من كيائها المتداعي، أما القسم الثاني تسلمته الإمبراطورية وأخذت العائلات الارستقراطية باستغلاله تحت نظام الحيازة⁽³⁾.

ومن بين إجراءات الاحتلال الروماني في بلاد المغرب عملية الكنترة (Centuria)، وهي عملية منهجية قام بها المساحون الرومان (Agrimensores)، قصد إحصاء الأراضي وتجزئتها إلى حصص متناسبة المساحة ذات 50 هكتار مربعة الشكل طول ضلعها 710م، ليسهل

(1) محمد البشير شنييتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص.51.

(2) محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا القديم. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص.79.

(3) م.ب.شنييتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ...، ص.55.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

توزيعها على المنتفعين الرومان أو تأجيرها للأهالي، وطبقت هذه العملية منذ القرن الثاني ق.م، وكان مع توسع دائرة الاحتلال تزداد معه دائرة مساحة الأراضي المكتنزة.⁽¹⁾

يعتبر المشرع الروماني أن الأراضي المحتلة وما عليها من أشخاص ودواب ومنشآت ملكا للرومان ويصفها بأنها أراضي المهزومين (Dedectii)، وهم الذين سلموا للشعب الروماني المنتصر أنفسهم وأراضيهم وبيوتهم وأسوارهم ومعابدهم وآلهتهم. وكانت هذه الأراضي تخضع لضرائب عينية مرتفعة⁽²⁾، وكان يطلق عليها عبارة اركيفينالس (Arcifinales) لأنها أخذت من أهلها بالقوة وبهذا الاعتبار اغتصب المستعمر الروماني جميع الأراضي ليقم عليها أشكالا من المستعمرات الفلاحية الكبرى (الفندس*، اللاتيفونديا**، السالتوس***، البرايديا****).⁽³⁾

وقد ظلت وضعية الأرض والفلاحين أمام القانون الروماني إلى أن وصل الإمبراطور كاراكلا (Caracalla) الذي أصدر مرسوم تعميم الرعوية الرومانية على جميع أحرار الإمبراطورية حيث أصبح بإمكانهم طلب الاندماج كي يتمتعوا بحقوق التملك، وبصدور

(1) فهمية حمداش: "الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية من خلال الموارد الأثرية"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع.10. الجزائر، 2016، ص.63.

(2) م.ب. شنياتي: وضعية الأرض وطرق استغلالها في بلاد المغرب (العهد الروماني - بداية الإسلام)، ص.106.
*الفندس (Fundus): وهو كل ملكية عقارية تحتوي على أرض أو مساكن، وفي بعض الأحيان يقصد بها الدومان أو مجموعة أراضي ومنشآت ومن جهة أخرى يمكن أن تطلق هذه التسمية على الحقول الصغيرة ذات الحدود المعلومة والفندس نوعان، فندي إمبراطورية وأخرى خاصة وهو مستثمرة فلاحية كبرى تمتلكها العائلات البرجوازية. أنظر: ع.ف. خنيش: "منظومة الاستغلال الزراعي الروماني في المغرب القديم"، مجلة البرادينغ، ع.2، 2016، ص.50-51.

**اللاتيفونديا (Latifundia): هي ملكية زراعية كبيرة وهي عبارة عن فندس أو عدد من الفندي واللاتيفونديا اسم يعني الأرض المحدودة ظهرت خلال العهد الجمهوري ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد. أنظر: ع.ف. خنيش: المرجع السابق، ص.52، 54.

***السالتوس (Saltus) وهو مصطلح يطلق على الأراضي الغابية والرعية والبراري وهو نوعان مرعى صيفي ومرعى سنوي تعود ملكيتها إلى الطبقة السيناتورية أما الباقي فهو دومان إمبراطوري عمومي. أنظر: ع.ف. خنيش: المرجع السابق، ص.53.

****البرايديا (Braedia): وهو مصطلح عام يقدر به في القانون الروماني كل ما تتعلق بالأرض أو العقار ونستطيع التمييز الأنواع التالية: برايدية المقاطعة، المرهونة، الحضارية، اليتامي، العمومية. أنظر: ع.ف. خنيش: المرجع السابق، ص.50-54.

(3) م.ع. عقون: المرجع السابق، ص 80

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

إصلاحات ديكلتيانوس أخذ وضع الأرض والمزارعين في التغير وبرز نظام القنية وذلك عندما سادت ظاهرة تجميع الأراضي في يد الملاك الذين منحهم القانون السلطة على الأراضي مقابل التزامهم باستحصال الجباية المفروضة وضمان الأمن وإجبار الفلاحين على الارتباط بالأرض حيث يوجد في المغرب القديم عدة أنواع من الاملاك ⁽¹⁾ وهي:

- أراضي الأباطرة: وهي المراعي الملكية التي تمثل الضياع التي كانت لأفراد من طبقت أعضاء مجلس الشيوخ وبعض أراضي القبائل التي اختص بها الأباطرة
- أراضي الطبقة الارستقراطية: تمتلكها أسر أرستقراطية من طبقة مجلس الشيوخ وقد عمل الأباطرة على مصادرة مساحات شاسعة من هذه الأراضي.
- أراضي المستعمرات والبلديات: كونت منطقة ما سواء كانت مستعمرة (Colonia)، أم بلدية (Minicipium)، تتمتع بحقوق تشبه الحقوق الممنوحة للبلديات.
- أراضي العشائر: تألفت منها منطقة العشيرة خضعت للمسح والتنظيم من طرف الحكومة.
- الأراضي الغابية: بعض مناطق التعدين والغابات التي كانت جزء منها للأباطرة أما الجزء الآخر فيؤجر إلى شركات يؤلفها رجال الأعمال. ⁽²⁾

2. التوسع الزراعي:

1.2 زراعة القمح:

يرجع أن الزراعة ببلاد المغرب عرفت ازدهارا كبيرا وذلك يرجع إلى انتشار الضيعات الشاسعة وطرق استغلالها ⁽³⁾، ولا ريب أن الثروة الفلاحية كانت إحدى المبررات في احتلال

(1) م. ب. شنييتي: وضعية الأرض وطرق استغلالها ...، المرجع السابق، ص. 107.

(2) ميخائيل روستوفتزييف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر. ومر: زكي علي ومحمد سليم سالم. القاهرة، دار النهضة العربية، 1957، 1، ص. 396.

(3) عبد اللطيف البرنسي: "الاقتصاد الضيعي ومقولة الازدهار الزراعي بإفريقيا الرومانية"، مجلة الأمل، مج. 23، ع. 44، 2015، ص. 09.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

الرومان لبلاد المغرب، وكما تعودت روما في عهد ملوك نوميديا على أخذ حاجياتها من غلال المملكة النوميديّة المتمثلة في القمح كلما دعت الضرورة إلى ذلك.⁽¹⁾

إذ مكن الاستيلاء على نوميديا وموريتانيا من الحصول على مساحات إضافية شاسعة في إنتاج القمح لذلك سترتفع مساهمة بلاد البلاد المغرب القديم في سد حاجيات الإمبراطورية الرومانية من هذه المادة إلى الثلثين.⁽²⁾

يعتبر القمح الإفريقي من أهم المحاصيل الزراعية فقد ساعد المناخ ووفرة المياه وخصوبة التربة على الإنتاج، ومن الأسباب التي جعلت روما في حاجة إلى القمح وإيراداته منذ سنة 395م، حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية وأصبحت المحاصيل المصرية متجهة إلى القسطنطينية التي تحولت إلى عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد وصل المحصول الإفريقي من الغلال المصدرة إلى روما ضعف محصول مصر من القمح بحوالي 40 مليون ميكال، بهذا كان الرومان يدعون إفريقيا بمخزن الحبوب، هذا وأنتج المغرب القديم كميات ضخمة من القمح والشعير التي كان لروما نصيب الأسد منها بدءا من حكم الإمبراطور أغسطس، إذ اختلفت كمياتها من سنة لأخرى وتؤكد بعض المراجع أن احتياجات روما من القمح كان من مناطق الدول الثلاث.⁽³⁾

وفضلا عن الكمية التي تصل إلى مخازن روما هناك أهمية النوعية أيضا فكان يحتل القمح الإفريقي مكانة خاصة أشاد بها الكتاب، وهذا نتيجة الشروط المناخية التي كان ينمو فيها كقلة الأمطار وشدة الحرارة، ويؤكد بلينيوس الكبير (Plinius) أن القمح الإفريقي يحتل المرتبة الثالثة بين أنواع الحبوب في عصره وأنه الأفضل لإنتاج السميد وأكثرها صلابة وثقلا.⁽⁴⁾

(1) م. ب. شنييتي: التغيرات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص. 85.

(2) م. ع. عقون: المرجع السابق، ص. 97، 98.

(3) أحمد محمد أنديشه: "الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي"، مجلة البحوث الأكاديمية. ب. ت، ص. 435-441.

(4) م. ب. شنييتي: التغيرات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص. 87.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

وكانت المساحة المخصصة لزراعة القمح جد شاسعة لدرجة أن أراضي إفريقيا اعتبرت من أهم المناطق إنتاجا للقمح في العالم القديم، وعلى الرغم مما كانت تعانيه أحيانا من تسلط الجراد على المحاصيل والجفاف إلا أنها ضلت تغطي العجز الذي كانت تعاني منه روما.⁽¹⁾

2.2 زراعة الزيتون:

تعد غراسة الزيتون من أهم الزراعات الشجرية في المغرب القديم، وعليها تتوقف معيشة السكان وتتميز عن باقي الأشجار بقدمها وطول عمرها، وقد وصلت هذه الزراعة إلى ذروة انتشارها وتطورها في العهد الروماني وهذا ما يؤكد "شارل بيكار" في كتابه "حضارة إفريقيا الشمالية" أن سياسة الزيتنة في إفريقيا كانت ذات أهمية اقتصادية واجتماعية لاسيما الزيت الذي لعب دورا هاما في حياة السكان لما له من استعمالات فهو يستعمل لأغراض عدة كصناعة الصابون والدلك في الحمامات وفي الإنارة، لذلك عملت روما على تشجيع زراعة الزيتون في المقاطعات التي احتلتها في المغرب القديم⁽²⁾، إذ توسعوا في استغلال الأراضي الشاسعة التي كانت تزيد مع زيادات توسعاتهم، وغرسوا حقول الزيتون في مختلف أجزاء المغرب القديم الذي كان يصدر إلى روما وهذا ما يفسر ويبين اهتمامه بالفلاحة.⁽³⁾

ومن العوامل التي ساعدت على التوسع في غراسة أشجار الزيتون هي:

- زيادة الطلب على الزيت باتساع القاعدة الاستهلاكية.
- توسع العمران والتمدد في أفريقيا مما جعل الطلب على الزيت يزداد.
- ظهور تشريعات مرنة تشجع على نمو هذا النشاط الفلاحي.

(1) محمد البار: "الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة (284-429م)"، مجلة المصباحية سلسلة العلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع.9، 2012، ص.104.

(2) نادية عون: الزراعة الشجرية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني (146ق.م-430م)، "الزيتون والكروم"، رسالة الماجستير. جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص.20.

(3) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج.1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 2000، ص.54.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

– العامل الطبيعي المتمثل في المناخ الملائم.⁽¹⁾

حيث أن زراعة هذا النوع من الأشجار يحتاج إلى شروط مناخية فهي لا تنمو في المناطق الحارة ولا الباردة مما يجعل المناخ المتوسطي السائد المغرب القديم مناخا مناسباً لغراسة هذا النوع من الأشجار.⁽²⁾

ونظرا لأهمية هذه الشجرة قامت الإمبراطورية الرومانية بإعفاء هذا النشاط الزراعي من الضريبة لمدة 5 سنوات بعد أول إنتاج، وتركزت زراعة الزيتون خاصة في السهول العليا لاسيما في تبسة إلى سوق أهراس وقفصة ومن سفوح الجبال الأوراسية إلى سطيف غربا، وازدادت أهمية إفريقيا في مجال الزيتون والزيت بعد أن تراجعت هذه الزراعة في إيطاليا بسبب الحروب الأهلية.⁽³⁾

ب-الصناعة:

إن أول ما يثير الانتباه في الصناعة الإفريقية هو تحول بعض المنتجات الفلاحية إلى مواد صناعية قابلة للاستهلاك كالزيوت إلى زيت والكروم إلى خمور⁽⁴⁾، ومن بين الصناعات المعروفة في المغرب القديم نذكر الصناعة الفخارية فهناك نوع يستخدم في الاستهلاك والطعام والشراب وهناك نوع آخر خاص بالطهي.⁽⁵⁾

وقد قسم الباحثون الفخار إلى فخار نذري يستعمل لأغراض دينية وفخار عائلي موجه لمختلف الاستعمالات في حين قسم الباحث الفرنسي ستيفان قزال (Stéphane Gsell) الفخار من حيث اللون والزخرفة إلى نوعين فنجد القدور والجفون والصحون والفناجين والمصابيح بلون

(1) م. ع. عقون: المرجع السابق، ص. 102.

(2) ن. عون: المرجع السابق، ص. 39.

(3) نفسه، ص. 101، 100.

(4) م. اللبار: المرجع السابق، ص. 60.

(5) فاطمة كابلي: الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم وأثرها على المجتمع، رسالة ماجستير. جامعة الجزائر 2، 2010/2011، ص. 53.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

رمادي أو لون داكن أو أسود، أما النوع الثاني فهو الفخار المصبوغ فهو مزخرف باللون الأسود أو الداكن السمرة رفقة اللون الأحمر.⁽¹⁾

وتعتبر هذه الصناعة من بين الصناعات التي يمكن للأثريين تتبع تطورها نظرا لصلابة منتجاتها ومقاومتها للزمن ورغم أنه في بداية الغزو الروماني كانت إفريقيا تعتمد على مراكز إنتاج أجنبية إلا أن هذه الصناعة بدأت تنمو في إفريقيا البروقنصلية⁽²⁾، هذا وبرعوا في صناعة أوعية لتخزين ونقل المنتجات تعرف "بالأمفورات"، فهي نوع من الجرار الفخارية المصنوعة من الطين المشوي لها مقبضين وعنق طويل أضيق من جسم الجرة ذات الشكل البيضوي.⁽³⁾

إضافة إلى الصناعة النسيجية حيث تعتبر بلاد المغرب من أهم المناطق المعروفة بصناعة النسيج التي تميزت بصباغتها الأرجوانية لذلك كانت تحظى بشهرة وفي كل المناطق المتوسطية وتعتبر مدينة القل وجزيرة جربة مركزا لصناعة الصباغة الأرجوانية.⁽⁴⁾

وفضلا عن الصناعة النسيجية توجد الصناعة التعدينية وقد عرفت هذه الصناعة تنوعا كبيرا، نظرا لوفرة المعادن من بينها الحديد والرصاص والرخام، ومن الرصاص يستخلص معدن الفضة، ومنه صكت بعض القطع النقدية.⁽⁵⁾

وتعتبر صناعة تمليح الأسماك وإعداد نقيع السمك (الكاروم) من بين الأنشطة الصناعية في بلاد المغرب القديم وذلك لتوفر المغرب القديم على ثروة سمكية مهمة استخدمت في صناعة الكاروم، وقد ظهرت المعامل المختصة في تمليح الأسماك بليكسوس والقواس.⁽⁶⁾

(1) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص. 123.

(2) ف. حمداش: المرجع السابق، ص. 71.

(3) فلة تفرحيت وجهيدة مهنتل: "صناعة الأمفورات في العالم القديم بين الفني والحاجة الاقتصادية"، مجلة الإنسان والمجال، مج. 8، 1، 2022، ص. ص. 236-240.

(4) م. ع. عقون: المرجع السابق، ص. 123.

(5) ف. كايي: المرجع السابق، ص. 57.

(6) سمير آيت مغار: الماء والحياة الاقتصادية في المغرب القديم. الجزائر، ب. ت.، ص. 93، 95.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

ج- التجارة:

يعتبر العامل الاقتصادي من أبرز العوامل التي شجعت الرومان على السيطرة على بلاد المغرب عموماً ولبدة الكبرى خصوصاً، لما تمتعت به من مقومات طبيعية⁽¹⁾، باعتبارها مركزاً ومحطة تجارية بالدرجة الأولى خاصة تجارة القوافل الداخلية بالإضافة إلى نشاطها في الملاحة والتجارة بسبب موقعها الاستراتيجي، والجدير بالذكر أن الرومان اعتبروا أن مزاوله التجارة والحرف المختلفة أمر ضروري في تحسين الظروف الاقتصادية، وأن ظهور التبادل التجاري بين البلدان أدى إلى تحسين ظروف الحياة وتشجيع التجار على الاستثمار من أجل سد حاجيات السكان.⁽²⁾

فبعد سقوط قرطاجة وإقامة مقاطعات رومانية على إقليمها بدأ الإيطاليون يفيدون إلى هذه المقاطعة، ووجد عدد منهم فرصته في تجارة القمح وخاصة أنهم أدركوا حاجة السوق الإيطالية لهذه المادة⁽³⁾، هذا وعمل الرومان على إنشاء عدد كبير من الأسواق التي كانت تزودهم بما يحتاجونه من مواد زراعية وتجارية ودعموا للاقتصاد منها السوق الأوغسطية حيث يتم فيه بيع السلع والقيام بالمبادلات التجارية وإبرام الصفقات التجارية بين أرباب الأعمال، وعرف السوق الروماني العديد من الأنواع: السوق اليومي، وبه محلات ودكاكين، أما النوع الثاني السوق الأسبوعي وهي عبارة عن مساحة مكشوفة محاطة بأعمدة ومنشآت عامة متعددة الوظائف تحتوي على محلات والنوع الثالث السوق الدوري يتم فيه تبادل المنتجات بين سكان المدن والأرياف.⁽⁴⁾

(1) نصيرة بالي وسعيد شلالة: "الأسواق الرومانية ببلاد المغرب القديم ودور النخبة المحلية في إنشائها، السوق الأوغسطية نموذجاً"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، مج. 12، ع. 2، الجزائر، 2021، ص. 476.

(2) حميدة إكتيبي محمد: "أهم مظاهر الحياة التجارية في مدينة لباد"، مجلة الجامعة الأسمرية، جامعة المرقب، ع. 29، 2014، ص. 268، 269.

(3) م. ع. عقون: المرجع السابق، ص. 139.

(4) ن. بالي وس. شلالة: المرجع السابق، ص. 276، 277.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

وكان اقتصاد طرابلس في العصر الروماني يركز أساساً على تصدير زيت الزيتون ومع أنه غير ملائم للطهي إلا أنه كان يستعمل في الحمامات والإضاءات، وكانت تجارة القوافل العابرة إلى الصحراء تنمو باطراد يساعدها على ذلك أمن الطرقات والأسواق العالمية التي انبثقت تحت حكم الرومان، وكانت صبراتة من المدن التجارية الهامة في الإمبراطورية الرومانية لها مكتب في مركز الاتحادات أرضيته مكسوة تحمل صورة فيل وغالبا كان رمز لتجارة العاج وغيرها من الأشياء الثمينة مثل تمثال الفيل. وهو ما يذكرنا بنوع جديد من التجارة نشأ عن قسوة قلوب الرومان المتمثل في استيراد الحيوانات المفترسة للألعاب في روما وأغلبها كان يستورد من إفريقيا.⁽¹⁾

كما أقبل الرومان على اقتناء الخيول النوميديّة حيث أبرموا عدة صفقات تجارية لتزويدهم بعدد من الخيول مقدّر بـ 3900 فرس ولم يقتصر استعمال الخيول على روما فقط بل وصلت إلى مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية حيث كانت توجد في المغرب القديم مزارع متخصصة في تربية الخيول، وكانت تشحن بأعداد كبيرة عن طريق البحر إلى ميادين السباق في روما وهذا ما توضحه الفسيفساء التي تصور عملية شحن مجموعة من الخيول على الباخرة.⁽²⁾

وزيادة على ذلك قامت بتصدير المواد الأولية خاصة الصوف والخشب والقمح والزيت إضافة إلى الجرار التي كانت توضع فيها المواد لنقلها⁽³⁾، بينما انحصرت واردات إفريقيا الرومانية في بعض مواد البناء وبعض الأواني الخزفية والقناديل من إيطاليا وبعض الخزف والملابس من غاليا، والأدوات المعدنية والأثاث من اسبانيا، كما كانت تجلب التبر والعاج

(1) إ. ل. هينز: آثار طرابلس الغرب، تر: عديلة حسن مياشي، مر: نور الدين شللي وطه باقر. طرابلس، ليبيا، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، ب. ت. ص. 39، 40.

(2) سليم سعدي: "الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، ع. 27، 2018، ص. 77.

(3) ش. أ. جوليان: المرجع السابق، ص. 210.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

والأحجار الكريمة والعبيد السود من الصحاري إلا أن أمتن العلاقات التجارية كانت قائمة مع إيطاليا⁽¹⁾.

لعبت العربات دورا مهم في تنشيط الحركة الاقتصادية حيث ساهمت في نقل المنتجات المصنعة من الورشات بالمدن إلى القرى والمزارع هذه الأخيرة التي استعمل فيها المزارع العربية لجمع المحصول ثم نقله إلى الأسواق والمخازن العمومية، كما أنها وسيلة مهمة لنقل الحيوانات فبعد أن تصطاد توضع في أقفاص على متن عربة تنقلها إلى الميناء لتبحر بها السفن إلى روما⁽²⁾.

د - الضرائب:

بدءا من سقوط قرطاجة 146 ق.م، أخضع الرومان سكان المغرب القديم لنظام جبائي متعدد الوجوه، هذا ما نستنتجه من نص أبيانوس الذي كان مفاده أن الرومان أخضعوا الأرض والأشخاص لضريبة المهزومين وأن هذه الضريبة متساوية بين الرجل والمرأة باعتبار أن الأرض والبشر في نظر القانون ملكا عموميا للشعب الروماني (Ager Publicus Populi Romani) وأن عليهم دفع الجزية مقابل الإبقاء على حياتهم⁽³⁾.

إذ أن الحصول على هذه الضرائب كان من بين الأهداف الحقيقية للتوسع الروماني في المغرب للتخلص من تكاليف شراء القمح وتوزيعه على السكان في مدينة روما، هذا وعملت على استغلال الأراضي وجع محاصيلها وشحنها إلى روما⁽⁴⁾.

(1) م. اللبار: المرجع السابق، ص. 104.

(2) رضا بن علال: العربات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، في العصور القديمة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص. 85، 86.

(3) م. ب. شنييتي: التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص. 127، 128.

(4) سعيد باحمد: الأنونة في المغرب الروماني: الضرائب العينية على إنتاج القمح وزيت الزيتون (146 ق.م - 235 م)، رسالة الماجستير في التاريخ القديم. جامعة الجزائر 2، 2009/2008، ص. 50.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

إن معظم الضرائب التي فرضها الرومان على بلاد المغرب تجمع عينا لا نقديا بسبب ندرة العملة المتداولة، وكان عليها أن تقدم القمح والنبذ والزيت لروما لأن هذا الأسلوب يتفق مع مصالح مجلس الشيوخ بأن تحصل روما على حاجياتها من الطعام بأقل تكلفة، وأما السبب الآخر بأن جعل الضريبة تجمع عينا هو اتساع مجال الاستيطان الذي نتج عنه نقص في كمية الضرائب المحصلة منها لأن معظم سكانها أصبحوا مواطنين رومان ممن لهم حق الإعفاء الضريبي، وبذلك نقص دخل الدولة التي كانت تعتمد على الضرائب المحصلة من الولايات لذلك عملت على تغطية نفقاتها بفرض الضرائب على الإنتاج والغلال.⁽¹⁾

وكان نظام التحصيل على الرغم من لا مركزيته سيئا، وكان أعضاء مجلس الشيوخ أو كبار رجال العشيرة في كل مدينة مسؤولين على تسليم الحكومة كل ما هو مستحق وكانت تتم المراجعة كل 5 سنوات وعادة ما يتم تنفيذها مع الكثير من الظلم والقمع.⁽²⁾

وتكونت إدارة تحصيل الضرائب من جهاز إداري توزع فيه المهام على عدد من الموظفين برئاسة البرايطور (Praetor)، يعاونه المحاسبون (Numerarii) وأعوان قضائيون (Tabularii)، هذا الأخير كان يراقب سير تحصيل الجباية كما يقوم هؤلاء الأعوان بتحديد قوائم الضرائب قبل موعد التحصيل بأربعة أشهر، وكان موسم الجباية يبدأ من أول مارس من كل سنة.⁽³⁾ شكلت كمية معينة من الذرة والنبذ واللحوم وغيرها من الضروريات، مجتمعة أطلق عليها الأئونة.⁽⁴⁾

(1) يونس نجيب سعد: النظم الإدارية والمالية في ولاية إفريقيا الرومانية، (146 ق م - 284 م)، رسالة الماجستير. جامعة المرقب، 2007، ص.ص. 150-160.

-H. M. Gwatkin and G. P. Witney, Cambridge Medieval History, Vol. I: The Christian Roman(3) Empire and the Foundation of the Teutonic Kingdoms. London: MacMillan, 1911, p. 41
(3) م. ع. عقون: المرجع السابق، ص. 145، 146.

-H. M. Gwatkin and G. P. Witney, op. cit., p. 42.(4)

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

هذه الأخيرة معروفة بضريبة التموين (Annona)، التي اشتد الرومان في جبايتها باعتبارها مصدرا رئيسيا لغذاء سكانها ونظرا لحيويتها القصوى، خاصة أن روما كانت في حاجة ماسة إلى غلال المغرب القديم خاصة القمح.⁽¹⁾

وما تجدر الإشارة إليه هو ما قام به الإمبراطور أكتافيوس أغسطس (27ق.م - 14م) لمواجهة المجاعة التي هددت روما سنة 7م، بتأسيس إدارة الأنونة وتكليفها باستحصال القمح والزيت والنبذ وزيت الزيتون وتوزيعها على الشعب الروماني ولسد حاجيات الشعب الروماني والقضاء على المجاعات والمساهمة في تحسين المستوى المعيشي، هذا وعمل على رفع كمية الضرائب المفروضة على المغرب القديم فأصبحت تقدم 40 مليون موديس* من القمح لروما.

وقد ظل القمح وزيت الزيتون يغذيان سكان روما في ظل سياسة الضرائب المفروضة إلى أن وصل الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus) إلى السلطة الذي قام باقرار توزيع زيت الزيتون مجانا على سكان روما⁽²⁾، ولا شك أن إدارة الأنونة من أهم الإدارات التي يتوقف عليها أمن واستقرار روما لأن أي تأخير في وصول التموين إلى روما قد يتسبب في اضطرابات سياسية واجتماعية، مما دفع الأباطرة إلى الاهتمام المتزايد بهذه العملية⁽³⁾، لما لها من أهداف في ضمان تمويل الجيش ومرابط إبدال الخيول للبريد الإمبراطوري وتقديم التموين للمدن والبلديات لذلك عمل الأباطرة بمضاعفة عدد المخازن في كل المقاطعات تحت حراسة ومراقبة الحكام.⁽⁴⁾

(1) م.ب.بشيتي: التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.137.

* موديس (Modius): هي وحدة لوزن القمح تقد ب 8.75. انظر: س. باحمد. المرجع السابق، ص. 76.

(2) س. باحمد: المرجع السابق، ص.55، 54.

(3) كريمة نور الدين: نظام التموين في المقاطعات الرومانية، "مقاطعة إفريقية نموذجا"، مج.13، ع.02، 2022، ص.20.

(4) كريمة نور الدين: مصالح إدارة الأنونة في روما والمقاطعات الرومانية مقاطعة إفريقية بالخصوص خلال العصر الإمبراطوري (27ق.م-395م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم. جامعة الجزائر 2، 2017/2018، ص.134.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

إضافة إلى ضريبة المركبات (Animalium) مثل الجياد حيث كان مربو الخيل النوميديّة يقدمون حصانا واحد على كل كونتوري، إلى أن صدر مرسوم هونوريوس (Honorius) يحدد مبلغا نقديا لكل جواد، وكان السكان مجبرين على تقديم المركبات لصالح البريد العمومي (Cursus publicus) وفي حالة عدم تقديمها فإنهم مطالبين بتعويض نقدي على من عجز منهم على إحداهن فعليه أن يقوم بأعمال قصرية لصالح البريد.⁽¹⁾

وفضلا عن هذه الضريبة كان أصحاب الحرف والمهن يدفعون ضريبة أرباح العمل وتستفيد الدولة الرومانية من بدل إيجار أراضي التجار والمناجم والمحاجر والمراعي والغابات لأنها كانت تعتبرها منذ البداية جزء من الأراضي الرومانية (Ager Publicus).⁽²⁾

وهناك نوع آخر من الضرائب غير مباشرة تسمى ضريبة الرسوم الجمركية وهي ثلاثة أصناف رئيسية: رسم العبيد قيمته 5% من ثمن العبيد، ورسم الإرث مقداره 5% من مجموع الميراث، ثم رسم المبيعات بالمزاد وكان 4% من ثمن البيع وكان يطلق عليها (Quatuor Publicae Africae)، أي أربعة إفريقية العمومية.⁽³⁾

وكانت أكثر الضرائب التي أرهقت الفلاحين هي ضريبة التموين العسكري (Annona Militaris)، حيث كان أجور الجند تقدم في صور مواد استهلاكية كالغلال والملابس وفي عهد الإمبراطور سبتموس سفيروس تحولت من ضريبة عينية إلى ضريبة نقدية، وتعد أيضا ضريبة الرأس (Capitus)، من بين الضرائب التي فرضها الرومان على الولايات لما لها من مدلولات سياسية واجتماعية بالإضافة إلى كونها مصدر دخل للدولة.⁽⁴⁾

(1) م. ب. شنيّتي: التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص. 137، 138.

(2) رزق الله أيوب إبراهيم: التاريخ الروماني. بيروت، لبنان، ط. 1، 1992، ص. 190.

(3) م. ب. شنيّتي: التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص. 142.

(4) ي. ن. سعد: المرجع السابق، ص. 162، 163.

الفصل الأول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

الخريطة 02: خريطة المقاطعات الرومانية في المغرب القديم⁽¹⁾.



(1) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص. 199.

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية والعسكرية في المغرب القديم

I- ثورة الدواوين الريفيين وتحالفهم مع الدوناتيين (347م-411م):

أ - تعريف الدواوين الريفيين.

ب - التحالف الدوناتى - الدواوين.

ج- انتشار الدواوين في المغرب القديم

II- ثورة فيرموس وتحالفه مع الدوناتيين (372 م - 375م) :

أ - تعريف فيرموس.

ب - تحالف فيرموس مع الدوناتيين.

III- ثورة جيلدون والحركة الدوناتية (397م-398م):

أ- تعريف جيلدون.

ب- جيلدون والحركة الدوناتية.

I- ثورة الدوارين الريفيين وتحالفهم مع الدوناتيين (347م-411م) :

أ- تعريف الدوارين (Circumcelliones):

تميز العهد الروماني في المغرب القديم بالاضطهاد الديني والثورة واغتصاب أراضي الفلاحين المغاربة^(*) خاصة خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي في عهد ديوقليتيانوس، إذ عملت روما على امتصاص الإنتاج الريفي وتصريفه نحو روما أو لخدمة الجالية الأجنبية في البلاد، فأصبح السكان عمال أجراء في أراضيهم بعدما استولى عليها المعمرون الإقطاعيين الرومان كما فرضت عليهم الضرائب، فقد سلمت الإمبراطورية هؤلاء البؤساء الاستغلال الطبقة الأرستقراطية الرومانية أو المرومنة والتي كانت تعاملهم كالعبيد، مما أورث الحقد وخلق طبقة معادية للنظام في المغرب القديم نتيجة السياسة القمعية التي اتبعتها الأباطرة الرومان ضد الأهالي منذ سيطرتهم على المنطقة، وأمام هذه الأوضاع انتظمت الطبقة البروليتارية (Proletariat)^(**) في عصابات ضد اللاتيفوندات أي ضد مزارع المعمرين تثير الرعب بين الملاكين، ويتصرفون كمطبقين للعدالة، يكرهون الأسياد والأثرياء ويدعون العبيد للتحرر فتمكنت هذه الأخيرة من خوض ثورة اختلفت أسماؤها إلا أنها اشتهرت بثورة الدوارين.⁽¹⁾

اختلفت آراء الباحثين وتباينت حول ماهية الدوارين والأسماء التي عرفوا بها حيث أطلقت عليهم عدة تسميات ومدلولات جعلتهم محل تساؤلات عديدة، ولا تكمن الصعوبة في الجانب اللغوي لأن المصطلح اللاتيني يتركب من جزأين الأول: كيركوم (Circum) ويعني حول، أما

*المغاربة: يستخدم مصطلح المغاربة للإشارة إلى سكان منطقة المغرب الكبير التي تشمل المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا وموريتانيا. أنظر: <https://chat.openai.com>

**الطبقة البروليتارية (Prolétariat): هي من بين الطبقات العاملة التي لا تملك وسائل الإنتاج، وتضطر لبيع قوتها العاملة من أجل العيش، ينظر إليها على إنها الطبقة الثورية القادرة على تغيير النظام من خلال الوعي الطبقي والتنظيم السياسي، أنظر الموسوعة الحرة www.wikipedia.org

(1) يعقوب حجاج: أجدار بني قنوبل، دراسة في تاريخ آخر قبيلة بونية وبروزها من ثورة الدواري إلى عهد الرستميين. بنغازي، مكتبة المسلاتي للدراسات والترجمة والنشر، ط. 2008، ص. 78-83.

الجزء الثاني: كيلا (Cella) فمعناه هري أو مخزن المؤن (من خمور أو زيوت أو حبوب)، وظل هذا التعريف متداولاً في المعاجم والقواميس اللاتينية حتى الآن.⁽¹⁾

وجاءت تعاريف عدة في المصادر الكاثوليكية عن الدواوين، فذكرهم القديس أوغسطين (Augustin)* بقوله: "كانوا يسمون بالدورين بدورانهم حول الأهراء". أو أنهم "أولئك الذين يحومون حول الأهراء الريفية بحثاً عن القوت ومن ثم جاءت تسميتهم بالدواوين...".⁽²⁾

غير أن السنين الأخيرة حملت تفسيرين جديدين لمعنى (Cella) فرأى الباحث الإنجليزي وليام فرندي (William Frend) أن الأضرحة الريفية (Cellaerusticanae) الواردة في نص أوغسطين هي أضرحة الشهداء الريفية، وكانت هذه الأضرحة متناثرة في نوميديا وموريتانيا يرتادها الدوارون للتبرك برفات الشهداء من جهة والبحث عن قوتهم من جهة أخرى، لأنها كانت تتوفر على مخازن ومستودعات غذائية، أما التفسير الثاني فقد صاغه الباحث الإيطالي كالدرون (Calderone) في مقال حديث له 1967م، إذ يعتبر أن الدواوين نوع من النساك أو الرهبان يتجولون بين الأديرة وعليه فإن المقصود بـ (Cella) هو "بيت الراهب".⁽³⁾

كما تباينت آراء بعض الباحثين المحدثين حول هؤلاء الدواوين فتصفهم المؤرخة الفرنسية أوديت فانييه (Odette Vannier) الثورة الدائرية والدوناتية في دراسة نشرتها سنة 1996م عن الدوناتيين قائلة: "كان الدائريون ينزلون الكولون من عربته ويركبون العبد الذي كان يجرها ويربطونه أمام العربة ويأمرونه بجرها فيحولون السيد إلى عبد والعبد إلى سيد، وكانوا

(1) الربيع عولمي: "حركة الدواوين (الريفيين الأوراسيين) في نوميديا أو محاولة ثورة اجتماعية في شمال إفريقيا (320-411م)", دورية كان التاريخية، القاهرة، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، ع.65، 2008-2024، ص.34.
*القديس أوغسطين (Augustin): ولد سنة 354م بمنطقة جبلية تدعى تاغاست من أم مسيحية وأب وثني، كان محامياً وداعياً وخطيباً، شهد نكبة الامبراطورية في أيامها الأخيرة بعد أن اكتسحتها المسيحية، وهو من كبار القديسين للكنيسة الكاثوليكية، توفي سنة 430م. أنظر: أوغسطين: اعترافات القديس أوغسطين، تر: الخوري يوحنا الحلو. بيروت، لبنان، دار المشرق، ط.4، 1991، ص.ص.06-01.

(2) محمد المبكر نقلا عن القديس أوغسطين: شمال إفريقيا القديم حركة الدواوين وعلاقتها بالدوناتية 305م-429م، سلسلة رسائل وأطروحات الرقم 34. جامعة محمد الخامس، الرباط، ط.1، 2001، ص.85.

(3) ر. عولمي نقلا عن ويليام فريد وكالدرون: المرجع السابق، ص.35.

يهاجمون مخازن الحبوب فيجمعون حبوبها ويوزعونها على الفلاحين الفقراء، كانوا يتعرضون لناقلي أموال الضرائب فيسطون عليها ويوزعونها على الفقراء"⁽¹⁾ ويقول عنهم مارطورا أنهم من المزارعين الدوناتيين المسيحيين الذين دفعهم البؤس الذي عمهم وحماسهم الديني إلى تنظيم عصابات تجوب الأرياف المغاربية متمردة على الأوضاع الاجتماعية⁽²⁾، بينما يعتبرهم الباحث الفرنسي مونصو (Monceaux) أنهم مجرد مغامرين لا بيت لهم ولا مقر يحبون الحومان حول الضيعات ومخازن المؤن ويعيشون من التلصص.⁽³⁾

ويتضح مما سبق أن الدوارين هم صنفين مختلفين الأول هو محاولة تشويه هذه الحركة من طرف أصحاب الجدل الكاثوليك بوصفها أنها غير أخلاقية تسعى إلى ترويع الناس وتمارس السلب والنهب، وفي نفس الوقت نلمس إقرار ضمناً من هؤلاء المجادلين بقوة هذه الحركة وانتشارها في كل مكان ومدينة من مدن نوميديا وموريتانيا⁽⁴⁾، بنما ترى فيهم الدوناتية مناضلين وقديسين في أغلب الأوقات، وأطلق الدوارون على أنفسهم عدة تسميات من المصارعين وجنود المسيح والقديسين وغيرها من الألقاب، ويبدو أن لهذه التسميات مدلول إغرائي لكسب تعاطف الأهالي واستمالتهم وإعطاء بعد روحي لهذه الثورة.⁽⁵⁾

وينحدر هؤلاء من أصول إفريقية غير متأثرين باللغة اللاتينية وسياسة الرومنة، وساعدهم على ذلك تنقلهم وعدم استقرارهم في مكان معين، وهذا من أبرز السمات التي يتصفون بها فوصفهم الكتاب الكاثوليك بالسيركوييتوريس (Circuitores) والتي تعني الدوارين⁽⁶⁾، وحسب

(1) ي. حجاج نقلا عن أوديت فانييه: المرجع السابق، ص. 79.

(2) م. اللبار: الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية...، المرجع السابق، ص. 128.

(3) ر. عولمي: حركة الدوارين...، المرجع السابق، ص. 40.

(4) نفسه، ص. 35.

(5) م. اللبار: الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية...، المرجع السابق، ص. 129.

(6) ر. عولمي: حركة الدوارين...، المرجع السابق، ص. 38.

المصادر المتوفرة، فإن حركة الدواوين ظهرت خلال القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين بتسميتها وملامحها وسماتها التاريخية.⁽¹⁾

ومهما تعددت الألقاب والأسماء، فإن الدواوين هم فرق من العمال الفلاحين المنتقلين بحثاً عن العمل في جمع الزيتون أو جني الفواكه أو العمل في الحصاد، وبرزت حركتهم لتحرير المضطهدين من العبيد والعمال العاطلين محاولة منهم القيام بثورة اجتماعية هادفة نتيجة ضغط الرومان على الأرياف وتضييق الخناق على أهلها جبائياً⁽²⁾، وعليه فإن منطلقهم الأساسي في البداية كان اجتماعياً اقتصادياً بين فئتين رومانييتين الأولى متحكمة في الاقتصاد والثانية فئة منهوكة بالكاد تحصل على قوتها، وقد انطلقت ثورتهم من الأوراس في وقت عرفت فيه الإمبراطورية أزمت اقتصادية حيث ضعف الإنتاج وتراجعت قيمة الذهب والفضة وسرعان ما انتشرت هذه الثورة في كامل المنطقة النوميديّة.⁽³⁾

ب- التحالف الدوناتى-الدواري:

ليس من السهل تحديد العلاقة بين الدواوين والدوناتيين، حيث ارتبطت هذه الحركة بظهور الدوناتية نفسها فمع ميلاد الانشقاق الدوناتى بدأت أعمال العنف الإجرامية للدواوين حسب أوغسطين (Augustin)، وحوالي سنة 400 خاطب القديس أوغسطين الأسقف الدوناتى بتيليانوس (Petilianus)* قائلاً: "ليس من الصعب الوقوف إقليماً إقليماً على كل ما اقترفه ومازال يقترفه زعماء دواركم وعصاباتكم المكونة من السكرين والمجانين منذ بداية انشقاقهم إلى الآن..." فكان يريد إلصاق التهم بهم.⁽⁴⁾

(1) ر.عولمي: حركة الدواوين...، المرجع السابق، ص.34.

(2) م. اللبار: الأحوال الاقتصادية...، المرجع السابق، ص.129.

(3) ي. حجاج: المرجع السابق، ص.80.

*بتيليانوس (Petilianus): هو أسقف دوناتى لمدينة سيرتا (قسطنطينة حالياً)، وهو أحد ممثلي الكنيسة الدوناتية في مناصرة قرطاج سنة 411م، ويعد أقوى خصوم القديس أوغسطين. أنظر: ليلي ساينغوكاتيةخلوز: حركة الدواوين (305م-429م)، مذكرة الماستر، تيزي وزو، جامعة مولود معمري، 2022-2023، ص.78.

(4) م. المبكر: المرجع السابق، ص.171.

قام المتمردون الدوارون سنت 340م عن طريق الاحتجاج للمطالبة بالقضاء على البؤس الذي يعيشونه، وعقب هذه الأحداث وجه الأساقفة الدوناتيين نداء إلى الدوق الإفريقي طورينوس (Taurinus) من أجل كبح هؤلاء وإعادتهم إلى الطريق السوي، فأرسل الدوق جنوده إلى الأسواق التي يتواجد بها الدوارون فمات عدد كبير منهم وجرح الآخر في مجزرة حدثت بقرية أوكتافا (Locus Octaviensis)^{(1)*}، هذا وقد نبه الباحث الفرنسي بالو دو لاسير (Pallu de Lasser) إلى تجنب الخلط بين الدوارين والدوناتيين مشيراً إلى شكوى بعض الأساقفة الدوناتيين من عنف أعمال الدوارين، كما استنكر بعضهم أعمال هؤلاء أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الميلاديين وتبرؤوا منهم⁽²⁾، إلا أن أحداث باغاي (Bagae)^{**} سنة 347م تعتبر منعرجاً حاسماً في تغير مسار العلاقات بين الدوارين والدوناتيين نظراً للدور الذي لعبه الدوارون في هذه الاحتجاجات الدامية بدفاعهم عن الدوناتيين حين تعرضوا لاعتداءات الفرقة العسكرية المرافقة للبعثة الإمبراطورية في باغاي⁽³⁾، فنتج عن الخلاف الدوناتي حول ضحايا تلك الصدمات الارتباط والتلاحم بين الدوارين والدوناتيين لأن مبشري الدوناتية تعاطفوا مع الدوارين في محنتهم بقرية أوكتافا بل وسموهم بالمصارعين القدسيين لأنهم كانوا الأكثر اطلاعاً على حقيقتهم فوقفوا بجانبهم عكس كبار الأساقفة الذين أثار الدوارون على مصالحهم، وازداد أتباع الدوارين أثر هذه

*أوكتافا (Octaviensis): ربما هي تجمع لقرى حول ضيعة كبيرة، كانت ملكاً لشخص يدعى أوكتافيوس، وهي عبارة عن تجمعات سكنية كانت على عكس المدن لا تتوفر على إدارة مركزية بواسطة الحكام البلديين من النوع التقليدي، إلا أننا لا نجد ذكر لهذه المحلة من بين الأبرشيات النوميديّة التي حضر أساقفتها مناظرة قرطاج بينما يرى آخرون أنها ذكرت كأبرشية في مجمع 256م خلال عهد كبريانوس، والتي كانت كذلك كأبرشية حسب لائحة الأقاليم والمدن الإفريقية إلا أن مكانها غير معروف في نوميديا. أنظر: م. المبكر: المرجع السابق، ص. 124.

(1) ي. حجاج: المرجع السابق، ص. 88.

(2) م. اللبار: الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية...، المرجع السابق، ص. 130.

*باغاي (Bagae): قصر باغاي حالياً، شمال غرب مدينة خنشلة بجبال الأوراس. كانت بلدية رومانية في النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي تعتبر من أكبر معازل الدوناتية، حيث وقعت فيها أحداث التاريخ الدوناتي (معركة 347م). أنظر: م. المبكر: المرجع السابق، ص. 120.

(3) سعيدة أويحي: "مدينة باغاي، قلعة الدوناتيين"، مجلة التاريخ المتوسطي. جامعة الجزائر 2، مج. 3، ع. 1، جوان 2021، ص. 82.

المذبحة⁽¹⁾، وسرعان ما تحول هذا التعاطف إلى احتواء وارتباط سنة 347م حيث أمر قسطنطين من خلال مرسوم على نزع الكنائس من الدوناتيين المنشقين ومصادرة أملاكهم فبدأت جماعات الدوارين بالظهور.⁽²⁾

وبحكم تنسيق العمل في إطار التعاون بين الدوارين والدوناتيين ضد السلطة الرومانية والكاثوليكية، وبهدف إنجاح ثورة اجتماعية في إفريقيا، فإن المراسيم والقوانين التي أصدرها الأباطرة الرومان لتنظيم كيفية اضطهاد الدوناتيين طيلة القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي ينطبق ضمناً على الدوارين باعتبارهم الجناح العسكري للدوناتيين ضد الكنيسة الكاثوليكية، كما تم إدراجهم في الجدل الكاثوليكي الدوناتي باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الانشقاق الدوناتي.⁽³⁾

وعلى العموم فإن الدوناتية أعطت طابع التقديس للثوار الدوارين وأدرجت موتاهم في قائمة الشهداء، بعد أن كانت أعمالهم تنعت بالوحشية ووصف رجالهم بالعصاة والمتمردين فإن الدوناتية أعطت لزعمائهم أيضاً صفة الطهارة.⁽⁴⁾

ج- انتشار الدوارين في المغرب القديم:

انتشر الدوارون بأعداد كبيرة في جميع أنحاء إفريقيا، وأظهروا للمحتكرين إراداتهم، وكان أي عصيان لأوامرهم يتبعه أشد العقوبات والقتل، مجهزين بأسلحة من جميع الأنواع يقتحمون الأرياف والمدن بشراسة ويسفكون الدماء.⁽⁵⁾

(1) ي. حجاج: المرجع السابق، ص. 88.

(2) نفسه، ص. 89.

(3) م. اللبار: الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية...، المرجع السابق، ص. 130.

(4) ي. حجاج: المرجع السابق، ص. 90.

(5)- Saint Augustin, Oeuvres complètes de l'évêque d'Hippone, traduit par Charpentier et autres. University of St. Michael's College, Toronto: John McKelly Library, 1872, p.7.

وانطلقت ثورتهم من قبيلة كوتوبيتاي (Cotopitae) البونيقية سنة 340 م بزعامه ديدا أو ديدون الذي كان يعمل في قطف الزيتون، فكان هذا الأخير أول من ندا بهذه الثورة ودعى أهله إلى التمرد على السلطة الرومانية فيما يعرف بثورة الدوارين بجبل الأوراس لينتقل بثورته إلى واد مينا الواقعة بجنوب تيارت والمنطقة التي تأسست فيها عاصمة مملكة الأجدار فيما بعد⁽¹⁾، وقد توسع مجال عمليات الدوارين ولم يبق مركزاً في نوميديا الجنوبية شمالي الأوراس فقط، فقد شملت عملياتهم معظم مناطق نوميديا نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي حيث تواجدوا في منطقتي هيبو-ريجيس (عناية) وكالاما (قالمة) على وجه الخصوص وامتدت عملياتهم شرقاً إلى المدن البروقنصلية مثل أسوراس، وموستيوتبورسيكوم بوري (تبرسق)⁽²⁾.

وانقسم المهتمون بثورة الدوارين والحركة الدونانية إلى تيارين الأول يركز على النشاط الاقتصادي والظروف الاجتماعية للدوارين مع إمكانية الاختلاف حول أهداف هذه الحركة والتيار الثاني يرى أنها حركة دينية من الأساس فهم إما فرقة متنقلة بين أضرحة الشهداء المتناثرة في الأرياف الإفريقية أو نوع من الرهبان.

ومن المرجح إن الدوارون من جماعات الرحل تبحث عن العمل في الضيعات خلال المواسم الفلاحية (الحصاد، قطف العنب والزيتون)، وقد تحصل على مبتغاها باستعمال القوة في مختلف الأرياف الإفريقية والبوداي، وما دفعها إلى ذلك إلا الاستغلال الاقتصادي والضيم الاجتماعي من طرف السلطة الرومانية وكبار الملاك.⁽³⁾

وصف البعض الامتداد الجغرافي لحركة الدوارين في المناطق الداخلية بإفريقيا بما يوافق جبال الأطلس حالياً كما يربطهم الباحث محمد المبكر بالريف النوميدي وكان تنقلهم بين الضيعات والمناطق من أبرز الصفات التي ساعدتهم على الانتشار، بينما وصفهم أوغسطين

(1) ي.حجاج: المرجع السابق، ص. 77-87.

(2) ر.عولمي: حركة الدوارين...، المرجع السابق، ص. 41.

(3) نفسه، ص. 41، 42.

الكاتب المعاصر لهم بأنهم عملوا على تأجيج إفريقيا بأكملها، وحسب كلامه فإن هذه الحركة لم تشمل الأرياف فقط بل وصلت إلى المدن، ومن خلال مساندة أساقفة قرطاج الدوناتيين لهم امتدت حركتهم في هذه المنطقة التي لم تكن موجودة لا فيها ولا في مقاطعات أخرى.⁽¹⁾

الخريطة 01: خريطة توضح مناطق نشاط وانتشار الدوارين⁽²⁾



(1) خ. سلامي وآخرون: المرجع السابق، ص. 50.

(1) عبد الحميد عمران: الديانة المسيحية في المغرب القديم (النشأة والتطور 180-430م). أطروحة الدكتوراه. جامعة منتوري- قسنطينة، ص. 254.

II - ثورة فيرموس (372م-375م)

أ- تعريف فيرموس (Firmus):

أثرت السياسة المنتهجة من طرف الإمبراطورية بشكل كبير على أوضاع الأرياف الأفريقية، حيث عرفت هذه الأخيرة عدة اضطرابات اقتصادية واجتماعية خلال القرن الرابع الميلادي أدت إلى ظهور حركات ثورية وانتفاضات ضد السلطة الرومانية، قادها السكان المحليون بل وحاولوا تأسيس مملكات مستقلة عن روما⁽¹⁾. وحسب بعض المؤرخين فإن هذه السلسلة من الإنتفاضات والتمردات على السلطة الرومانية التي تميز بها تاريخ المقاطعات الإفريقية شكلت السمة الرئيسية لبداية مرحلة الانحطاط والتدهور التي عاشتها الإمبراطورية في أواخر القرن الرابع الميلادي ومن أبرز هذه الثورات نذكر ثورة فيرموس التي شهدتها مقاطعة موريتانيا القيصرية (372م-375م)⁽²⁾.

ينتمي فيرموس إلى عائلة نوبل (Nubel)* الملكية إحدى الأسر العريقة التي يحتمل قدمها وتعاملها مع الرومان، حيث كانت تسيطر على منطقة واسعة من موريتانيا القيصرية بدءا من جبال البيبان إلى نهر الشلف وتجوّر ضياعا شاسعة وتراقب منافذ "وادي الصومام ووادي الشلف"⁽³⁾، مما جعلها ذات التأثير الكبير وسط القبائل المورية وكان لنوبل سبعة أبناء أكبرهم فيرموس، وسماك (Sammac) ومازوكا (Mazuca) وديوس (Dius) وجيلون (Gildon) وماسزيكال (Maszicel) وأختهم كيريا (Cyria)⁽⁴⁾.

(1) سعيدة اويحي: "ثورة جيلدون ضد الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا (393م-398م)"، مجلة هيروودوتس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، جامعة الجزائر 2، مج.8، ع.1، أبريل 2024، ص.13.
(2) ربيع عولمي: "المقاومة المورية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم (ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون 372-398م)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر، جامعة باتنة، مج.4، ع.3، جويلية 2022، ص.15.
*نوبل (Nubel): هو أحد أقوى الملوك الموريين في مقاطعة موريتانيا القيصرية، كانت له علاقات كبيرة مع السلطة الرومانية، والده يدعى ساتيرينوس ووالدته كلوكيا وله سبعة أبناء. أنظر: ر.عولمي، المرجع السابق، ص.100.
(3) عبد الحميد عمران: "من مقاومات الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا مع نهاية القرن الرابع ميلادي"، المجلة التاريخية الجزائرية. جامعة محمد بوضياف، مج.4، ع.1، جوان 2022، ص.12.
(4) س. اويحي: ثورة جيلدون...، المرجع السابق، ص.17.

بعد وفاة نوبل ثار خلاف بين أبناءه حول الخلافة خاصة بين فيرموس وسماك الذي كان يقيم في الضفة الغربية من وادي الساحل بينما أقام فيرموس في قصر أبيه بالثنية الواقعة بغرب برج أم نايل، وبدأ الصراع حول إرث والدهم خاصة الحكم حيث كان أقوى ملوك المور. وحسب رواية أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus) فقد تم إلقاء مسؤولية الثورة على رومانوس (Romanus)^(*) الذي اتهم بجلب المصاعب للإمبراطورية، فقد لجأ إلى سياسة التفرقة بين أبناء نوبل بعد وفاته حيث نشب خلاف بينهم حول الخلافة من بعده فساند رومانوس سماك ضد فيرموس باعتباره الوريث الشرعي فتم اغتيال هذا الأخير من طرف أخيه فيرموس وكان ذلك سببا في انفصاله عن الإمبراطورية.⁽¹⁾

اندلعت ثورة فيرموس في مجال جغرافي يتمتع بنوع من الاستقلالية⁽²⁾، ولم يتسارع هذا الأخير في إعلان ثورته رغم الظروف المواتية لها إلا بعد التحالفات مع بعض القبائل المورية. وكان الاستيلاء على قيصرية (شرشال) وحرقتها إشارة لبداية هذه الثورة، كما قام بمحاصرة تافزة (تيازة) دون جدوى ولم يتوقف عند هذا الحد، بل استولى على ايكوزيوم (الجزائر) ونهبها واستولى أتباعه على قرطنة (تنس) وخربوها فانتشر الخوف والفرع في صفوف الجيش الروماني الذي انضمت فرق منه إلى صفوف فيرموس حسب النصوص المعاصرة وبذلك سيطر على المنطقة الشرقية من موريطانيا القيصرية.⁽³⁾

امتدت رقعة حربه الجغرافية التي انطلقت من الصومام لتصل إلى مصب نهر شلف وربما أبعد من ذلك، وهذا دليل على مساندته ومؤازرته من مختلف القبائل، ففي الجنوب الغربي

*رومانوس (Romanus): هو كونت أفريقي والقائد العام لكافة القوات النظامية لأفريقيا وأحد أكبر الشخصيات الرومانية الكبرى في الدولة، كان يتحكم في عدد من قضاة وقادة السرايا والفرق النظامية والفرق المساعدة وحكام الحدود وعدد من زعماء الأهالي. أنظر: ع. ح. عمران، المرجع السابق، ص. 19.

(1) محمد الهادي حارث: ثورة فيرموس 372م-375م، الجزائر، 1989، ص. 11.

(2) ع. ح. عمران: المرجع السابق، ص. 12.

(3) م. ه. حارث: ثورة فيرموس...، المرجع السابق، ص. 12.

دعمته قبائل المازيكاس (Mazices)^(*) القاطنة في التلال الوهرانية بينما في الجنوب الشرقي دعمته القبائل التي تقطن غرب الاوراس في منطقة جبل بوطالب، وكانت ثورته شاسعة تضم مختلف اصناف التركيبة الاجتماعية والفكرية.⁽¹⁾

وبعد هذا التقدم الذي حققه فيرموس سارع الامبراطور فلانتيانوس (Valentinianus)* بإرسال الدوق ثيودوز باعتباره أفضل القادة العسكريين وكلفه بالقضاء على هذه الثورة حيث بدأت مرحلة جديدة من عمرها، ونظر للعرب الذي أحدثته ثورة فيرموس تيقن ثيودوز من استحالة الانتصار عليه وكبح ثورته دون اللجوء الى سياسة المخادعة، فتفاوض مع زعيم قبيلة الايسفلانسيس (Isaflenses)^(**) المدعو اغمازن (Igmazen) سريا من أجل القاء القبض على فيرموس، ولما علم هذا الاخير بما يحاك ضده فضل الانتحار سنة 375م حتى لا يقع في أيدي ثيودوز وبذلك تكون قد انتهت ثورة فيرموس بعد ثلاث سنوات كاملة من بدايتها أربك من خلالها الرومان كثيرا واتعب جيوشهم.⁽²⁾

ب- تحالف فيرموس مع الدوناتيين:

تحالفت المطالب الدينية مع مطالب الاستقلال، فتحالف فيرموس مع الدوناتيين الذين كان الانشقاق بالنسبة لهم فرصة منتظرة تغذي في أعماق نفوسهم الأمل في خلع النير يوما ما والوقوف ضد العبودية تحملوها عن إكراه، فقدموا له جيشا في كان في أمس الحاجة اليه وتجنيدا

*قبائل المازيكاس (Mazices): هي قبائل تنتمي إلى مقاطعة موريتانيا القيصرية تسكن بجوار جبل أنكوراريوس وهي من بين

قبائل الحلف الخماسي (Quinquegentanii). أنظر: <https://chat.openai.com>

(1) ع.ح. عمران: المرجع السابق، ص. 15.

*فلانتيانوس الثاني (Valentinianus): إمبراطور روماني (375-392م) ابن فلانتيان الأول حكم في عمر الستة عشرة سنة، قتله أريوغسط في فينا وعمره لا يتعدى عشرين سنة. أنظر: ر. عولمي: المرجع السابق، ص. 32.

**قبيلة ايسافلانسيس (Isaflenses): هي إحدى القبائل الأمازيغية في شمال إفريقيا، وتوجد في موريتانيا السطانية. أنظر:

<https://chat.openai.com>

(2) ر. عولمي: "من ثورات قبائل موريطانية القسصرية ضد السلطة الرومانية خلال النصف الأخير من القرن الرابع الميلادي (ثورتي الاميرين فيرموس وجيلدون)"، المجلة التاريخية الجزائرية، مخبر الجزائر: دراسات في التاريخ، الثقافة والمجتمع.

جامعة باتنة 1، مج. 6، ع. 2، 2022، ص. 93.

جيدا للأهالي كان ضروريا لاستمرار الثورة وتدعيمها بينما قدم لهم هو الآخر قائدا عسكريا شجاعا وقويا يحقق لهم مطالبهم وإضافة إلى الطابع الديني لهذا الصراع فإن كون الدوناتيين من الأهالي اعطى له طابعا عرقيا.⁽¹⁾

يرى مونصو (Monceaux) أن التحالف بين هذين الطرفين له دلالة مصلحة فكل منهما مصالح يهدف إلى تحقيقها، فكان فيرموس يهدف إلى خلق مملكة محلية مستقلة ويكون معها ملكا عليها ويشبه طموحه هذا تلك الحركات الثورية القديمة الطامحة للمحافظة على الاستقلال السياسي وعليه فإن فيرموس أراد استعادة أملاك أسلافه من الموريين، في حين يرى أن طموحات الحركة الدوناتية هي محاولة توحيد الكنيسة الدوناتية التي اضطهدتها الإمبراطورية فاستغلت هذه الثورات لصالحها من خلال التحالف معه ومشاركتها بصفة قوية في ثورة فيرموس، والمراسيم التي أصدرت لمنعها من وقت للأخر دليل لشعبيتها التي استغلتها لدعم الثورات في أنحاء المغرب القديم ضد الوجود الروماني، كانت ثورة فيرموس حركة اجتماعية قومية تحررية، استمرت من سنة 372م إلى سنة 375م⁽²⁾، استطاع فيها الثائر الموري أن يجمع القبائل المورية بالتنسيق مع الحركة الدوناتية والدواوين لتخليص روما والموريتانيتين من الهيمنة الرومانية⁽³⁾.

وزاد قمع الدوناتيين بعد وفاة فيرموس فأصبحوا يعاملون معاملة الثوار المتأمرين مع فيرموس كما فقدت القبائل المورية والدواوين وكذا الدوناتيين سندا حقيقيا لطموحاتهم التحررية⁽⁴⁾، ففي خضم المواجهات بين ثيودوز وفيرموس أعلن الإمبراطور فلانتيانيان قانونا موجهها إلى

(1) م. ه. حارش: ثورة فيرموس...، المرجع السابق، ص. 12.

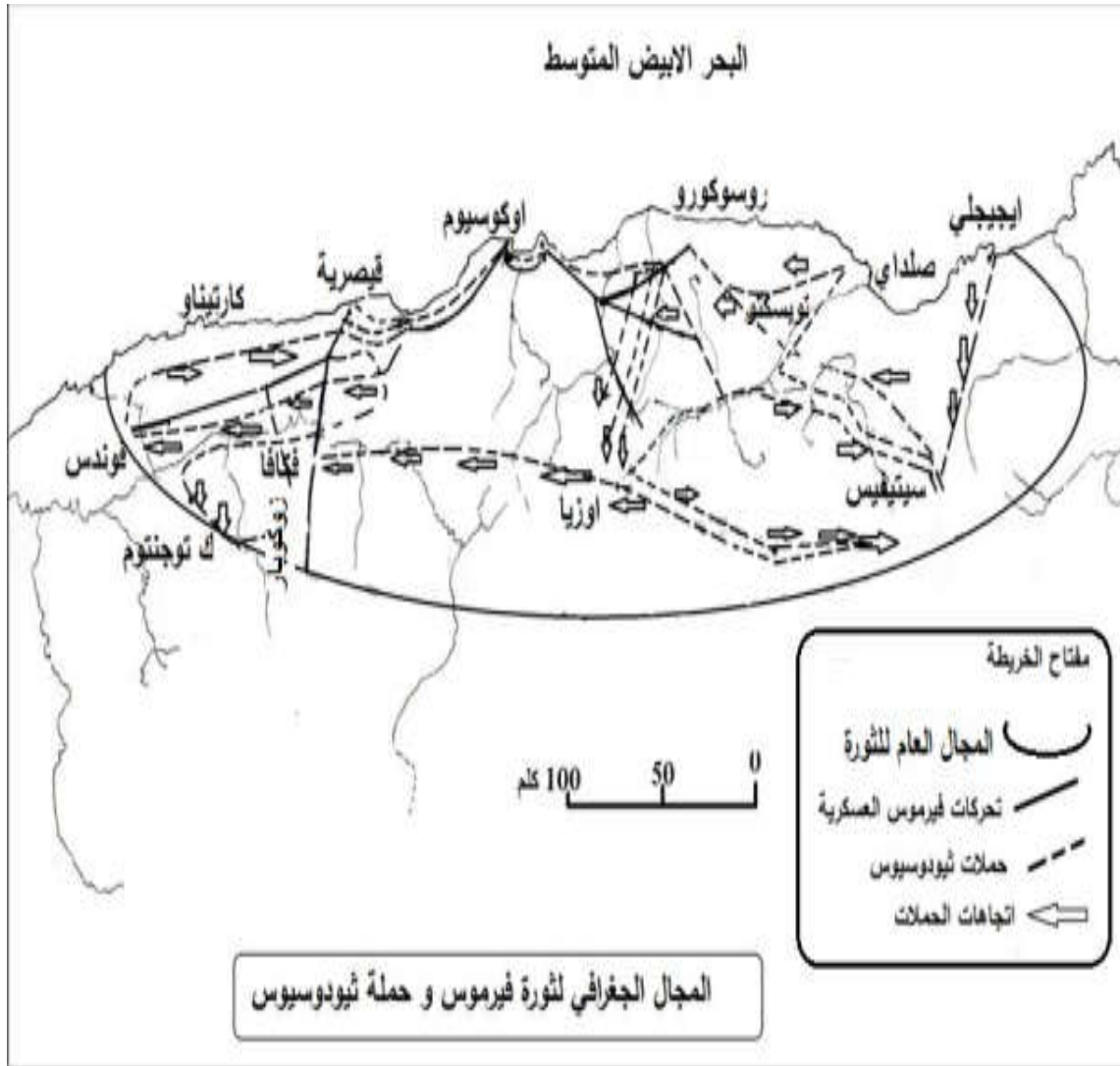
(2) خ. سلامي وآخرون: المرجع السابق، ص. 53.

(3) ر. عولمي: المقاومة المورية...، المرجع السابق، ص. 23.

(4) ش. أ. جولييان: المرجع السابق، ص. 303.

بروقنصل إفريقيا يوليانوس (Julianus) في 20 فيفري 373م ينص على منع وتحريم التعميد الدوناتى كما أمره بعزل الأسقف الذي لا يمثل لذلك القانون⁽¹⁾.

الخريطة 02: الخريطة توضح المجال الجغرافى لثورة فيرموس⁽²⁾.



(1) ر. عولمي: من ثورات قبائل الموريتانيون القيصرية...، المرجع السابق، ص. 93.

(2) ع. ح. عمران: المرجع السابق، ص. 273.

III - ثورة جيلدون (397م-398م)

أ - تعريف جيلدون (Gildon):

هو أخ ليفرموس من عائلة نوبل العريقة عاش ومات خلال القرن الرابع ميلادي، اسمه مشتق من كلمة اغليد والتي تعني الملك ما يعكس مكانته الاجتماعية لدى المور، استولى على أراضي شاسعة في مقاطعة موريتانيا السطائفية وتزوج من سيدة قرطاجية⁽¹⁾، كما أنه لعب دورا هاما في الأحداث التي عرفها المغرب القديم وكان يدين بالوثنية إلى غاية وفاته.⁽²⁾

ظهر القائد جيلدون ابن نوبل على مسرح الأحداث في المغرب القديم خلال ثورة أخيه فيرموس ضد الرومان⁽³⁾، وبدلا من القضاء على العائلة فكر في حيلة يبقّى بها زمام الأمور بين البربر فقرر التضحية بأخيه عندما شعر أنه لا يستطيع الصمود أمام جيوش الرومان متظاهرا باستعداده للتعاون معهم فرحب الرومان بذلك وعينوه كونت إفريقيا سنة 385م⁽⁴⁾، وعلى إثر هذا المنصب الذي تقلده أصبح بإمكانه تحديد وعقد اتفاقيات مع زعماء القبائل وربط علاقات مع الأسر الحاكمة في الإمبراطورية الرومانية خاصة بعد زواج ابنته سالفينا (Salvina) مع نبريديوس (Nebridius) أحد أقارب زوجة الإمبراطور ثيودوز، مما يبرز مكانته في القصر الإمبراطوري ومحافظة على العلاقة المتينة مع روما لعدة سنوات، لكن ثمة ظروف وعوامل تاريخية متعددة ساهمت في تحول العلاقة بين الطرفين لتأخذ منحى آخر بداية بالقطيعة التي أظهرها جيلدون⁽⁵⁾.

كانت بداية القطيعة بين الأمير جيلدون والسلطة الرومانية سنة 385م بعد رفضه لدعم الجيش الروماني في مواجهة المتمرة ماكسيم (Maxime)، بل ودعمه بالحبوب ووقف جانبه ضد

(1) ر. عولمي: المقاومة المورية...، المرجع السابق، ص.90.

(2) س. أويحي: ثورة جيلدون ضد الاحتلال الروماني...، المرجع السابق، ص.160.

(3) نفسه، ص.17.

(4) ي. حجاج: المرجع السابق، ص.35.

(5) س. أويحي: ثورة جيلدون ضد الاحتلال الروماني...، ص.18.

الإمبراطور ثيودوز معيدا نفس التصرف مرة أخرى بتحالفه مع الثائر أوجينوس (Eugène) سنة 392م ومساعدته له فتغاض ثيودوز عن ذلك نظرا لمكانته ونفوذه، حيث كان متحكما في موارد إفريقيا كلها وبإمكانه تجويع روما من خلال الامتناع عن تزويدها بالقمح إضافة إلى الزيت الذي كان ضروريا من أجل الإضاءة.⁽¹⁾

استغل جيلدون الخلاف بين الإمبراطورين هونوريوس (Honorius) واركاديوس (Arcadius) بعد وفاة ثيودوزيوس وضعف السلطة المركزية للبدء في تنفيذ مخططه، وإعلان ثورته ضد الرومان، ففي خريف 395م بدأ في تقليص كمية القمح التي كان يرسلها كضريبة التموين السنوية (الحصة السنوية) الأتونة، وفي عام 396م قام بتوقيف إرسالها نهائيا، مما أثار الهلع في إيطاليا وأعلنت فيها حالة الطوارئ⁽²⁾. ويقول شارل أندري جوليان في هذا: "كان جيلدون يملك بين يديه أقوى سلاح وهو منع تزويد روما بالقمح، وبإمكانه تجويع روما وإيطاليا وفي سنة 396م أعلن الثورة وأوقف إرسال القمح، وقد قام الوندالي ستيلكون (Stilicon)* حاكم غرب الإمبراطورية بالاحتياط للكارثة فصادر قمح الغالة واسبانيا، واجتمع مجلس الشيوخ الروماني وأعلن جيلدون عدوا لروما".⁽³⁾

ونستنتج مما سبق أن جيلدون اختار أسلوب المناورة ولم يكن خائنا، حيث استمر في إعداد جيش من سنة 376م وحتى سنة 396م لتحرير الشعوب البربرية من الاحتلال الروماني معلنا بذلك الثورة ضد الرومان بعد تبوئه مناصب عسكرية في المغرب القديم. هذا وكان قائدا لثورة جديدة سنة 396م لكن تكررت نفس مأساة أخيه بضربه بأخيهما سزيكال ورغم أن جيشه بلغ حوالي 70000 ألف رجل من الموريين والجيتول والوثنيين والدوناتيين والدوارين بينما كان جيش

(1) ر. عولمي: المقاومة المورية...، المرجع السابق، ص. 24.

(2) س. أويحي: ثورة جيلدون ضد الاحتلال الروماني...، المرجع السابق، ص. 21.

*ستيلكون (Stilicon): هو القائد المفضل لدى الامبراطور ثيودوزيوس، من أصل وندالي تزوج من سيرينا ابنة أخ الامبراطور قبل وفاته سنة 395م، ثم صار وصيا على هونوريوس. أنظر: ل. سايجي وك. خلوز: المرجع السابق، ص. 150.

(3) ي. حجاج: المرجع السابق، ص. 19.

قوام أخيه 5000 آلاف مقاتل من الجرمان والغالين والفرق المساعدة إلا أنه أنهى حياته منتحرا⁽¹⁾.

ب- جيلدون والحركة الدوناتية:

استغل جيلدون الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية الرسمية والدوناتيين لجلبهم إلى صفه رغم وثنيته، فوجد كل طرف منهما مصلحته في هذا التحالف، حيث استفاد الدوناتيون من حماية هذا القائد الموري لهم فقدّموا له مقاتلين مستعدين للموت من أجل عقيدتهم فتمت العلاقة بينهم حتى ربطهم الكاثوليك بجيلدون، وألصقوا مختلف النعوت بالاسقف الدوناتى أوبطاتوس تيموقادي (Optatus Thamugadae)، فمرة اعتبروه صديق القائد الموري ومرة جندي جيلدونى ومرة آخر فلكا للقائد ولقب أيضا بـ أوبطاتوس الجلدوني⁽²⁾، لعب هذا الأخير دورا هاما في تجنيد فرق من الدواوين وقيادة الرجال لدعم جيلدون وبذلك استطاع جيلدون جمع مختلف أطراف المجتمع الإفريقي تحت قيادته بفضل حنكته وقدرته على التخطيط، فنفذ مشروعه المتمثل في التخلص من التبعية لروما وتأسيس دولة مستقلة عنها وانضم إليه الدواوين والدوناتيون والمور وغيرهم مما أعطى لثورته ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والديني بعدا تحرريا.⁽³⁾

ومن أكبل المعارك التي قادها جيلدون وثواره ضد الاحتلال الروماني هي معركة أورداليو (Ardalio) سنة 392م التي قامت ضواحي مدينة تيفاست (تبسة) وذلك راجع إلى النشاط القوي للدواوين والحركة الدوناتية لهذه المناطق⁽⁴⁾، ورغم أن ثورة جيلدون لم تضم الدوناتيين فقط بل جمع أيضا بل جمع أيضا الوثنيين وغيرهم من الفئات الراضية للوجود الروماني إلا أن احتضان

(1) ر. عولمي: المقاومة المورية...، المرجع السابق، ص.25.

(2) محمد الحبيب بشاري: "أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، ثورة جيلدون"، مجلة الاتحاد العام لناشرين العرب - الاتحاد العام لناشرين العرب واتحاد الجامعات العربية. القاهرة، دار المنظومة، ع.13، 2012، ص.252.

(3) س. أويحي: ثورة جيلدون...، المرجع السابق، ص.23.

(4) خ. سلامي وآخرون: المرجع السابق، ص.55.

الدوناتين لهذه الثورة كان له أثر كبير في شموليتها، حيث أن العمق الريفي المشترك بينهما ساهم في قوة هذه الثورة⁽¹⁾.

أعاد جيلدون الاعتبار للمذهب الدوناتي بعد أن سيطر على الأمور واستجاب له حلفاءه الرومان، إلا أنه بعد وفاته ظهر القديس أوغسطين الذي وجد أن الدوناتية قد اجتاحت كامل البلاد فقام باعتقال اوبطاتوس أسقف تيمقاد مستشار جيلدون وروح الثورة البربرية عندما اشتد القمع القاسي على أتباع جيلدون والذي شمل الدوناتيين حيث أعتبر هذا الأسقف شهيدا من الدوناتيين، كما تمت مصادرة أملاك جيلدون التي وصفتها المصادر بأنها كثيرة مما تطلب تكليف هيئة للأشراف عليها وتسييرها⁽²⁾.

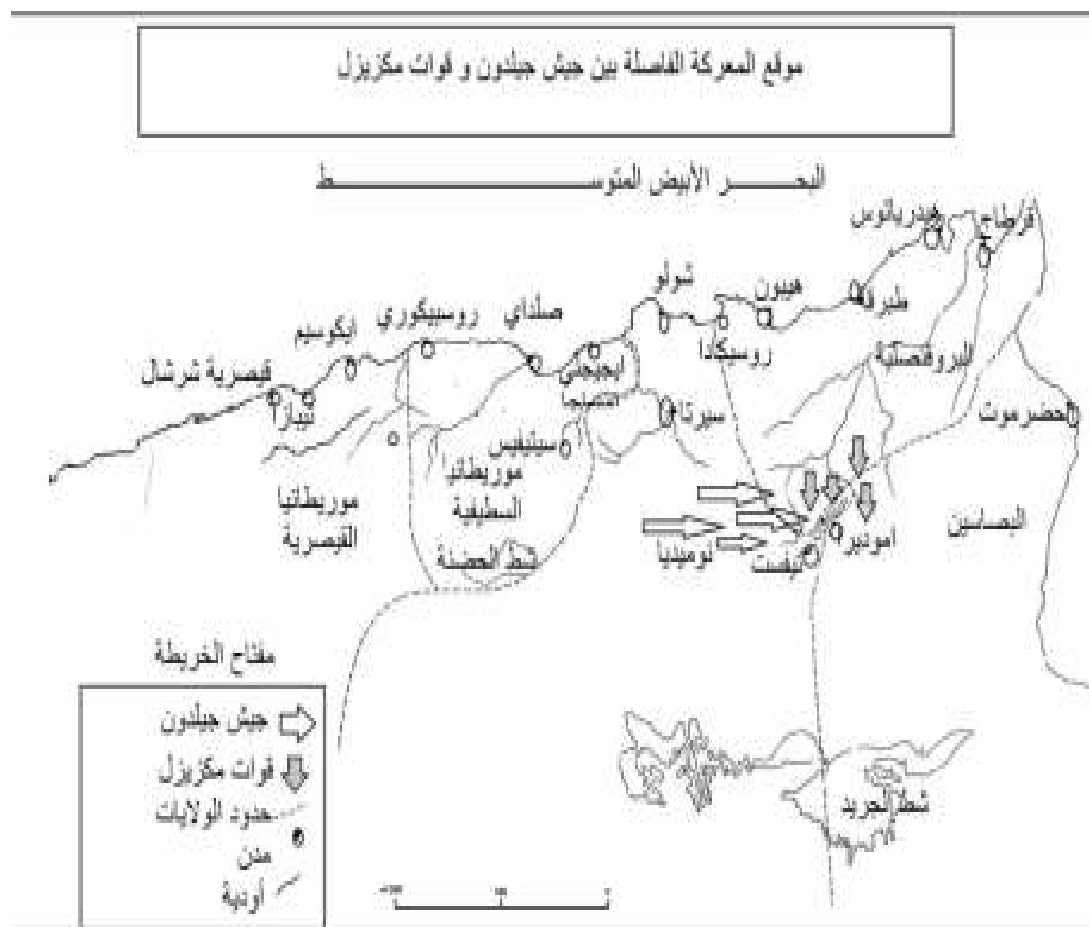
كانت انتفاضة جيلدون من الحركات الثورية التي ميزت القرن الرابع ميلادي وتحولت من انتفاضة اجتماعية إلى حركة ذات مطالب تحررية دينية بعد تحالفها مع الدوناتيين والدواريين لتواجه الكنيسة الكاثوليكية وحليفتها السلطة الزمنية بهدف تقويض الاستعمار الروماني في المغرب القديم⁽³⁾.

(1) ر. عولمي: المقاومة الموريتية...، المرجع السابق، ص.25.

(2) ي. حجاج: المرجع السابق، المرجع السابق، ص.37.

(3) ر. عولمي: المقاومة الموريتية...، المرجع السابق، ص.27.

الخريطة 03: الخريطة توضح انتشار ثورة جيلدون⁽¹⁾.



(1) ع. ح. عمران: المرجع السابق، ص. 28.

الفصل الثالث

نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف
العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

الفصل الاول: التقسيمات الإدارية والأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم أواخر العصر الإمبراطوري الثاني

I- بوادر ضعف السلطة الرومانية:

- أ- الاعتراف بالديانة المسيحية والانشقاق الديني.
- ب-المغرب القديم جزء من الإمبراطورية الرومانية الغربية.
- ج - الغزو الجرمني.

II- الغزو الوندالي للمغرب القديم

- أ-تعريف الوندال.
- ب-أوضاع المغرب القديم عشية الغزو الوندالي.
- ج-حملة الوندال على المغرب القديم.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

أ- بؤادر ضعف السلطة الرومانية

أ- الاعتراف بالديانة المسيحية والانشقاق الديني:

تعتبر الديانة المسيحية في المغرب القديم من المواضيع التي أسالت حبرا كثيرا لما اعترض سبيلها من مصاعب في هذه البلاد خاصة فيما يتعلق بالانشقاق والصراع الديني،⁽¹⁾ حيث يعتبر الانشقاق الذي مس الكنيسة الأفريقية من أهم الأحداث التي تميز بها المغرب القديم نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي والذي ولد كنيسة متناحرتين قرابة قرن من الزمن، الأولى كاثوليكية مدعمة من طرف السلطة الإمبراطورية والثانية دوناتية* عانت من اضطهاد السلطة لها⁽²⁾، ويرى يوزيبوس أن جذور الانشقاق الديني تعود إلى زمن الإمبراطور ديوكليتيانوس الذي شهدت فترة حكمه الاضطهاد للمسيحيين أدت إلى انقسامهم إلى قسمين متناقضين نظرا لارتداد عدد كبير منهم خوفا من التعذيب، إضافة إلى الصراع داخل الكنيسة حول التوبة والزعامة والاختلاف في المذاهب⁽³⁾، وبدأت استحالة توحيد الكنيستين والتوصل إلى حل يرضي الطرفين واقعا في المغرب القديم، فالدوناتيون رفضوا الانتماء والاعتراف بمن لقبوهم بالخونة والمتخاذلين وفي المقابل رفض الكاثوليك التتكر لهم أو الانفصال عنهم.⁽⁴⁾

وكان لاعتناق الإمبراطور قسطنطين الكبير للديانة المسيحية سنة 312م الأثر الأكبر على مستقبل المسيحية⁽⁵⁾، فتغير موقف الإمبراطورية الرومانية من الديانة المسيحية تغيرا جذريا باعتلاء قسطنطين على العرش الامبراطوري، فقد أصدر مرسوم ميلان الشهير الذي اعترف فيه بوضع

(1) م. ب. شنييتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات. الجزائر، دار الحكمة، 2003، ص. 174.
*الدوناتية: هي حركة ثورية اجتماعية أسسها الراهب النوميدي دوناتوس في سنة 311م. وهي حركة دينية كانت في البداية عبارة عن انشقاق الكنيسة الكاثوليكية قامت ضد الاحتلال الروماني. أنظر، ش. أ. جوليان: المرجع السابق، ص. 295-305.

(2) خ. زموري: المرجع السابق، ص. 69.

(3) يوزيبوس القيصري: تاريخ الكنيسة، تع: القمص مرقس داود. القاهرة، القاهرة الحديثة للطباعة، ط. 2، 1979، ك. 5.

(4) خ. زموري: المرجع السابق، ص. 69.

(5) نفسه، ص. 228.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

المسيحية على قدم المساواة مع بقية الديانات الأخرى. وبموجب هذا المرسوم رفع الاضطهاد ووسائل التعذيب على جميع المسيحيين، ولا جدل في أن المسيحية خلال خمسين عاما التي تلت اعتراف قسطنطين بالمسيحية حققت الكثير من خطوات النجاح ففي تلك الفترة شهد المجتمع الروماني نشأة ارستقراطية جديدة على المسيحية مؤثرة في البلاط والأسرة الإمبراطورية⁽¹⁾.

والواقع أن الاعتراف بالديانة المسيحية دينا رسميا كانت له نتائج بعيدة الأثر بالنسبة للكنيسة ونظامها، ذلك أن التنظيم الكنسي امتاز بالبساطة المطلقة في العصر المسيحي الأول، وقد ظهر على رأس الكنيسة خمسة بطارقة في روما والقسطنطينية وأنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية، وكان يتبع هؤلاء البطارقة مجموعة من رؤساء الأساقفة ثم أخذت الكنيسة تتحصل على امتيازات خاصة من الحكومة لعل أهمها حق الحصول على الهيئات والإعفاء من الضرائب، فضلا عن قيام الأساقفة بالفصل في المنازعات التي تنشأ بين المسيحيين حيث ازداد نفوذ الأساقفة بفضل مكانتهم الدينية وما جمعه من صدقات وهيئات. وهكذا أصبحت ثروة الكنيسة تزداد حتى امتلكت الأراضي والضياع⁽²⁾.

فقد كانت لهذه الامتيازات أثر على الكنيسة إذ تحولت من منظمة بسيطة ديمقراطية إلى هيئة وراثية ديمقراطية، كما أنها تخلت عن سياسة التسامح من جهة وانتشار الفساد في جهاز الكنيسة من ظهور الرشوة والسرقة والمحاباة من جهة أخرى، كما كان اتساع الفجوة بين رجال الكنيسة وجمهور المسيحيين بسبب ازدياد الثروة مما أدى إلى إخفاء روح الأخوة والمساواة وحل محلها القوة والتعالي والتعبد⁽³⁾.

(1) محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. القاهرة، دار المعارف، ط.3، 1995، ص.65.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي. القاهرة، مطبعة الانجلو-مصرية، ج.2009، ص.66، 67.

(3) أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تقديم: حسن أحمد الشيخ. الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 2007، ص.107.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

ب- المغرب القديم جزء من الإمبراطورية الرومانية الغربية:

يمثل عام 395م بداية مرحلة جديدة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ففي هذا العام انقسمت الإمبراطورية إلى قسمين منفصلين بعد وفاة الإمبراطور ثيودوزيوس الأول أو العظيم (Theodosius I)، فالقسم الشرقي يشمل تراقيا، داكيا، وآسيا الصغرى وسوريا ومصر، وقد حكم هذا القسم أركاديوس (Arcadius) (*)، أما القسم الغربي الذي وقع تحت حكم هونوريوس (Honorius) ** ويشمل إيطاليا، بانونيا، نوريكوم، دالماتيا وبلاد الغال، بريطانيا والمقاطعات الواقعة بشبه الجزيرة الأيبيرية ومقاطعات المغرب القديم، ففي الحقيقة ليس هناك إمبراطوريتان بل إمبراطورية واحدة انقسمت إلى جزأين تولى حكمهما إمبراطوران⁽¹⁾.

يعتبر هذا التقسيم من مظاهر التفكك الذي ازداد خطره في النصف الأخير من القرن الرابع ميلادي، بسبب ازدياد الفساد الإداري وتضاعف عبئ الضرائب بعد ازدياد عدد العبيد المنشغلين بالزراعة والصناعة وتناقص عدد الأحرار وكذلك الصراع المذهبي الذي ألقى بظلاله على أحوال الإمبراطورية.⁽²⁾

والجدير بالذكر أن هذين الإمبراطورين لم يكونا على مستوى المسؤولية والقدرة على الحكم لهذا وقعت تحت سيطرة تأثير وزرائها الجرمان، حيث هيمن على الجزء الشرقي للإمبراطورية روفينيوس (Rufinus) بينما هيمن على الجزء الغربي القائد الوندالي ستيليكو (Stilicho) الذي

*أركاديوس (Arcadius): هو إمبراطور روماني ابن الإمبراطور ثيودوزيوس الأول حكم الإمبراطورية الشرقية عام 395م حتى 408م، عرف بضعف شخصيته واعتماده الكبير على رجال البلاط. أنظر: حسن حبشي : دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. القاهرة، دار النهضة العربية، 1974، ص.40.

**هونوريوس (Honorius): هو إمبراطور روماني ابن الإمبراطور ثيودوزيوس الأول حكم من سنة 395م إلى سنة 423م. تولى حكم الإمبراطورية الرومانية الغربية وهو في سن العاشرة، لذلك حكم تحت وصاية القائد العسكري ستيليكو. شهد حكمه تفكك الإمبراطورية الغربية ويعد عهده من أضعف الفترات في تاريخ الإمبراطورية الغربية. أنظر: ح. حبشي: المرجع السابق، ص.41.

(1) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص.159، 160.

(2) أ. غ. حافظ: المرجع السابق، ص.107.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

اختاره ثيودوزيوس وصيا على ابنه هونوريوس⁽¹⁾. حيث يعتبر القائد الوندالي ستيليكو قائد القوات الرومانية في غرب أوروبا. وهو من أهم الشخصيات التي ساهمت في تلك الفترة ذلك أنه سرعان ما بسط نفوذه على هونوريوس حتى أصبح دمية في يده يحركها كيفما شاء. حقيقة أن ذلك القائد استبد بالسلطة ولكن بفضل مقدرته الحربية استطاع الحفاظ على سلامة الإمبراطورية الغربية.

ثم كان أن حدث بينه وبين روفينيوس نزاع في القسطنطينية أدى إلى وقوعه ضحية مؤامرة نسج خيوطها خصومه موظفوا البلاط. ورغم أنه لم تثبت إدانته، إلا أن هونوريوس أصدر أمرا بإعدامه في رافنا (Ravenna) مقر إقامة الإمبراطور سنة 408م⁽²⁾.

ج - الغزو الجرمني:

لقد انقسمت القبائل الجرمانية التي كانت تقيم وراء جبهتي الراين والدانوب إلى قسمين: الشعوب الماغولية أو الأارالية - الألطائية والشعوب الجرمانية^(*). وهذه الأخيرة قامت بدور بارز في تحديد مصير القارة الأوروبية في القرن الخامس الميلادي بسبب الهجرات والغزوات التي قامت بها انتهت بتأسيس ممالك جديدة غيرت معالم الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي⁽³⁾.

تجدر الإشارة إلى أن تسمية الجرمان هي كلمة أنها لا تترادف الهمجية أو الوحشية، بل المقصود بها مرحلة من مراحل التنظيم القبلي الذي لم يرق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني وإقامة دولة ذات الحدود الثابتة.

(1) أ. غ. الناصري: المرجع السابق، ص. 468.

(2) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص. 161.

*الجرمان: هم مجموعة من القبائل التي كانت تسكن فيما وراء نهر الراين. وهم الجرمان الشماليون والشرقيون والجرمان الغربيون ويرجع أصل هذه التسمية أنها كانت تسمية غريبة عن هذه القبائل. والراجح أن الرومان هم من سموهم بهذا الاسم والذين كانوا أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية. أنظر: طرخان علي أبراهيم: دولة القوط الغربيين. ج. 1. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1985، ص. 1، 3.

(3) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص. 82.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

ومن المحتمل أن الدافع وراء تحرك القبائل الجرمانية من موطنها هو الأمل في التخلص في الضغوط الشديدة التي جاءت من أجناس أخرى أشد همجية أو التزايد في السكان المقترن بزيادة المؤن والصيد. وصفوة القول ان الجرمان في البداية لم تكن لهم رغبة أو سياسة يسعون لتحقيقها أو القضاء على الإمبراطورية الرومانية. ولكن عندما اقتربت من حدود الإمبراطورية انبهرت بما تتمتع من ازدهار. فأثرت بغزواتها وتجوّالها السلمي مشاركة الإمبراطورية ثرواتها وخيراتها من جهة وإيجاد مكان آمن للعيش من جهة أخرى⁽¹⁾.

تميزت هجمات الجرمان منذ أواخر القرن الرابع ميلادي بطابع الهجمات المنظمة والجماعية، وانتهى الأمر باستقرار الجرمان الدائم في حدود الإمبراطورية الرومانية وتأسيس ممالك جرمانية معروفة.⁽²⁾ ويرى أميانوس مارسيلينوس أن مسألة الغزو الجرمانى للإمبراطورية الرومانية خصوصا في سياق اجتياح القوط الذي بلغ ذروته في معركة أديانوبوليس (Adrianopolis) سنة 378م. وقد رأى أميانوس ان هذه الأحداث مؤشرا على ضعف داخلي بنيوي داخل الإمبراطورية الرومانية. كما اعتبر تساهل الإدارة الرومانية مع دخول القبائل الجرمانية خصوصا القوط خطأ كارثيا فتح به الباب أمام انهيار النظام الإمبراطوري لاسيما مع تفشي الفساد في الإدارات المحلية، وضعف التنسيق بين القيادات الغربية والشرقية ولعل هذه المعركة التي قتل فيها الإمبراطور فالنس على يد القوط تشكل نقطة تحول حاسمة، كشفت الهشاشة العسكرية والسياسية للإمبراطورية ومهدت الطريق أمام الانهيار التدريجي لاحقا.⁽³⁾

(1) س. ع. ف. عاشور: المرجع السابق، ص. 77، 76.

(2) محمد الشيخ مرسي: الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى. الإسكندرية، دار النهضة الجامعية، 1975، ص. ص. 19-29.

(3) -Ammianus Marcellinus, XIV , 06-13.

(3)

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

وتعد غزوات الوندال وهم من الجرمان الشرقيين من بين الغزوات فجعا وأشدّها قسوة على الإطلاق⁽¹⁾، حيث ضل الوندالي قاومون القوط* الغربيين في إسبانيا طوال أربعة عشر سنة. اضطروا بعدها إلى العبور إلى المغرب القديم سنة 429م بقيادة جنزريك (Geneseric)، إذ سهلت الحروب الأهلية حول قيام الإمبراطور فالانتينيانوس الثالث (III Valentinianus) عرش الإمبراطوري مهمته. فاستولى على البلاد من طنجة حتى طرابلس. كما سقطت مدينة قرطاجة أهم مدينة في الغرب في أيدي الوندال سنة 439م⁽²⁾.

وخشية أن تقوم روما بأي عمل حربي ضد الوندال دفع جنزريك بأساطيله، فأغارت على جزيرتي صقلية وسردينيا ونهبتهما، الأمر الذي جعل فالانتينيانوس الثالث يعترف بجنزريك ملكا مستقلا على إفريقية. وهكذا فقدت الإمبراطورية الرومانية ولاية من ولاياتها، إذ يعتبر ضياعها من العوامل التي أسرعت بالإمبراطورية الغربية إلى التفكك والانحيار. فمن الواضح أن قيام دولة وندالية قوية حرمت الغرب الأوروبي من أعظم المناطق الغنية بالقمح مقرها فيما يعرف بتونس الحالية هذا من جهة ومن جهة أخرى جعلت موانئ غرب البحر المتوسط وتجارته تحت سيطرة الأساطيل الوندالية. فعلى إثر وفاة الإمبراطور فالانتينيانوس الثالث استغل جنسيريقي الفتن والفوضى والاضطرابات وأرسل أساطيله لشن هجوم على إيطاليا، أسفر عنه وقوع العصمة في أيدي الغزاة إرتكبو فيها العديد من أساليب النهب والقتل والتدمير⁽³⁾.

وقد حفلت السنوات الأخيرة من حكم جنزريك بغارات متعددة ضد إيطاليا وصقلية، دون أي مقاومة من الأباطرة الصغار الذين حكموا روما ورافنا. حيث كانوا مجرد أطيايف ملكية واهية،

(1) م. ش. مرسى: المرجع السابق، ص.ص. 19-29.

*القوط: قبائل ينتمون إلى الشعوب الجرمانية ويرجع أصلهم إلى المناطق الأسكندنافية شمال أوروبا إلى منطقة فيستول إلى شمال

بولونيا حاليا. أنظر: <https://chat.openai.com>

(2) س. ع. ف. عاشور: المرجع السابق، ص. 92.

(3) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص. 138.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

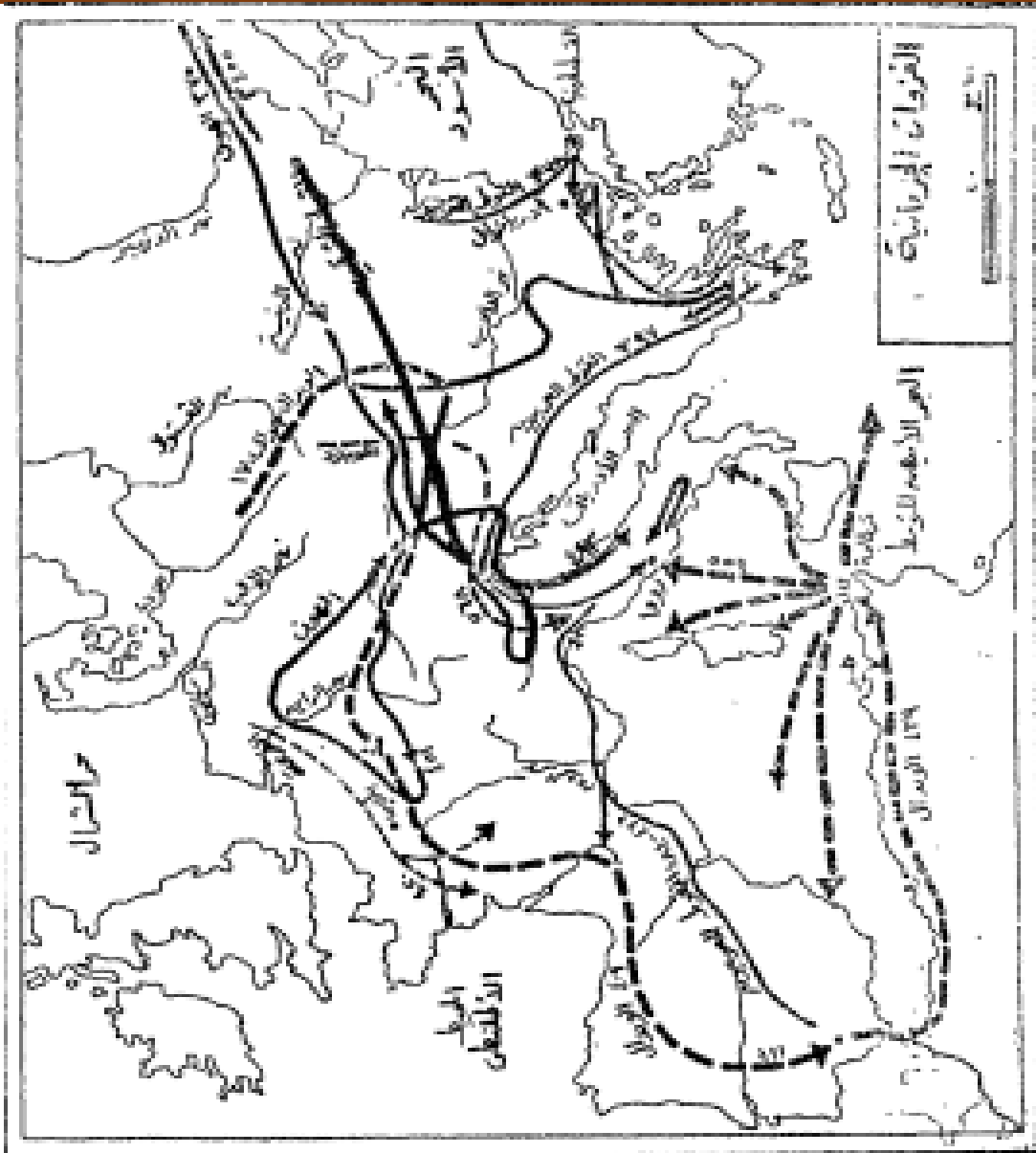
ومجرد أسماء جوفاء لا سلطة لها ولا قوة حيث قام جنزريك بعقد اتفاقية مع أودواكر (Odoacre) سيد إيطاليا الجديد حيث قبل جنزريك بموجب تلك المعاهدة أن يوقف توسعته في صقلية مقابل إتاوة سنوية يدفعها الملك الجديد. كما اضطر الإمبراطور الشرقي زينون^(*) إلى الاعتراف بمملكة الوندال في نفس العام الذي شهد نهاية حكم الإمبراطور الغربي⁽¹⁾.

* زينون (Zenon): هو القيصر فلافيوس زينونابسه الحقيقي تراسيكوديسا (Tarasicodissa)، إمبراطور روماني شرقي حكم من سنة 474م إلى سنة 491م وهو من أبرز الأباطرة البيزنطيين الذين ساهموا في استقرار الإمبراطورية في الشرق. أنظر:

الموسوعة الحرة ويكيبيديا: www.wikipedia.org

(1) م. ش. مرسى: المرجع السابق، ص. 121.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري
وتصاعد الهجمات الجرمانية



الشكل 1: خريطة توضح الممالك الجرمانية في شمال إفريقيا⁽¹⁾

(1) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص. 205.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

II- الغزو الوندالي للمغرب القديم:

أ- تعريف الوندال:

مصطلح الوندال مشتق من أسم قرية سويدية المعروفة باسم فاينديل (Vundel) في شمال جوتلاند، وهي موطنهم البدائي⁽¹⁾.

ويذكر شارل أندري جوليان في كتابه أن كلمة الوندال ترمز إلى الأعمال الوحشية بصفة عامة، هي مجرد أسطورة رغم ما ارتكبه الوندال من أعمال فضيعة ولكنها تستمد صحتها من استعمال الأسقف غريغوريوس لها حسب ما قدمه في تقرير إلى المجلس أن هذه القبائل لم تنزل بسواحل إفريقيا إلا بعد قرون من المغامرات والاقتراب. فقد انطلقت من بحر البلطيق وبلغت سهول الأودر (Oder) والفيستول الأعلى (Vistule supérieure) حوالي القرن الأول قبل الميلاد⁽²⁾. حيث يرى اللبار أن الوندال بفرعيهم الهاسدينج* والسيلينج** شعب أكدت العديد من الأدلة أن موطنهم الأصلي في اسكندنافيا قبل القرن الأول للميلاد، وأنهم عبروا إلى الساحل الشمالي لجرمانيا الشرقية على بحر البلطيق حيث أقاموا إلى منتصف القرن الثاني للميلاد. ثم استقروا بعد ذلك في وسط القارة الأوروبية، حيث استقروا لسيلينج في سيليريا والهسدينج في سهول هنغاريا⁽³⁾.

ويدعي الوندال كغيرهم من الشعوب أنهم ينسبون إلى أصول مقدسة بأن جدهم هو الإله هرمينو (Hermino) وابنه الآله مانوس (Manus) وابن الإله توستيو. ويقال أن كلمة الوندال مشتقة

(1) Christan Courtois, Les Vandales et l'Afrique. Paris, Arts et métier graphique, 1955, p.15, 16

(2) ش.أ. جوليان: المرجع السابق، ص. 222.

*الهاسدينج: هي القبيلة الثانية للوندال هاجرت جنوبا باتجاه الإمبراطورية الرومانية التي أغارت عليها العديد من المرات، مما أضطر بالرومان إلى إقامة الصلح معهم. تحصلوا بموجبهم على حرية العيش في داكيا وهنغاريا. أنظر:

<https://chat.openai.com>

**السيلينج: هي إحدى القبيلتين الأساسيتين المكونتين للشعب الوندالي وأهم ما يميزهم الأحزمة العريضة التي كانوا يرتبطون أصلا بهم بها. أنظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا: www.wikipedia.org

(3) م. اللبار: "الوندال بين التاريخ والوندالية"، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية. جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، ع.3، 2002، ص. 171.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

من الفعل الألماني (wandern) بمعنى يتجول أو يرحل. ويهمننا فرع الاسديون لأنه الفرع الذي ينتمي إليه جنزيريك مؤسس مملكة الوندال في المغرب القديم. فكلا الفرعين لا يتميزان عن بعضهم البعض. وهذه التسمية راجعة إلى اسم الأسر الحاكمة التي توجد في كل فرع⁽¹⁾.

ب -أوضاع المغرب القديم عشية الغزو الوندالي:

إذ كان الوضع في إسبانيا غير مواتيا للوندال، فإن شمال إفريقيا بدورها كانت ملائمة للحملة الوندالية، فكان على الوندال مواجهة الرومان والقوط الأعداء التقليديين⁽²⁾.

فبعد وفاة الإمبراطور هونوريوس (Honorius) سنة 423م دون أن يترك الوريث، قامت مشكلة حول خلافة العرش الإمبراطوري وهي من المشاكل العويصة الناتجة عن الانظمة الملكية والامبراطورية. ولحل الصراع الدائر حول العرش في روما تدخل الإمبراطور الروماني الشرقي ثيودوزيوس الثاني (Theodosius II) فاستقر رأيه على ارتقاء فلانتيانيوس الثالث

Valentinianus III) ابن جالا بلاكيديا (Placidia)* إلى عرش الإمبراطورية باسم فلانتيانيوس الثالث وهو في الرابعة من عمره وذلك بوصاية أمه التي منحت لقب اوغسطا (Augusta)⁽³⁾.

فبعد وفاة الإمبراطور هونوريوس استمر إخلاص بونيفاسيوس (Bonifacius)** في أفريقيا للامبراطورة بلاكيديا، إذ كان لجنوده الأثر الفعال في هذه الظروف. فمن الطبيعي أن تكون

(1) عبد الهادي التازي: "شمال إفريقيا والوندال (439م-534م)"، المجلة التاريخية المصرية. القاهرة، مج.11، 1963، ص.89،90.

(2) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص.238.

*جالا بلاكيديا (Placidia): هي إمبراطورة رومانية، ابنة الإمبراطور ثيودوزيوس الأول ولدت حوالي 388م وتوفيت عام 450م. كانت شخصية بارزة في التاريخ الروماني في القرن الخامس أسرت لفترة قصيرة من قبل القوط الغربيين، ثم تزوجت من قاندهم أتولف، وبعد وفاته عادت إلى روما وتزوجت من القائد الروماني قوسطنطيوس الثالث، وأنجبت منه الإمبراطور فلانتيانيوس الثالث ولعبت دور الوصاية على ابنها ومارست الحكم في الإمبراطورية الغربية بين عامي 425م و437م. أنظر:

<https://chat.openai.com>

(3) م.م. الحويري: المرجع السابق، ص.163.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

بلاكيديا مدانة له بالعرش الذي اعتلته نظرا لسن ابنها الصغير. وأول ما أظهرته الأمر اتجاه هذا الشخص التي كانت تراه الأجدد والأصدق في الدفاع عن الإمبراطورية⁽¹⁾، هو أنها تعينه قائدا على أنحاء ليبيا. وهذا التعيين أغضب إيتيوس (Aetius)***. غير أن هذا القرار لم يكن متوافقا مع رغبة إيتيوس عندما ذهب بونيفاسيوس ليتولى منصبه افتري عليه إيتيوس لدى بلاسيديا قائلا لها أنه ينشأ نظاما طغيانا وأنه يأمل في نهلبيا⁽²⁾، وأقنعها بأنه بإمكانها التوصل إلى الحقيقة باستدعاء بونيفاسيوس إلى روما. فافتتحت بلاكيديا بأفكار إيتيوس وأرسلت في طلب البونيفاسيوس ليحضر عندها. لكن إيتيوس كان أسرع منها وأرسل إلى بونيفاسيوس أن الإمبراطورة بلاسيديا تتآمر عليه وأن هناك خطة لاستدعائه إلى روما⁽³⁾.

كان رفض هذا الأخير الاستجابة للدعوة دليلا كافيا على نواياه بالاستقلال بإفريقيا. وكان من نتائج ذلك إرسال فرق لإخضاعه لكنه هزم هذه القوات. فما كان من مستشاري الإمبراطورة وابنها إلا جمع قوات جديدة وضعت تحت قيادة سجسفولت (Sigisvult) القوطي، ويبدو أن بونيفاس أدرك أنه لا يمكن الوقوف في وجه كل قوات الإمبراطورية الرومانية وهو ما دعاه للاستتجاد بالوندال⁽⁴⁾.

***بونيفاسيوس (Bonifacius): هو قائد روماني عاش في أوائل القرن الخامس ميلادي، كان واليا على إقليم إفريقيا عرف بصراعه مع القائد إيتيوس كما أنه لعب دورا رئيسيا في دخول الوندال في شمال إفريقيا. أنظر: محمد محي الدين المشريقي: إفريقيا الشمالية في العصر القديم. بيروت، لبنان، دار الكتب العربية، ط4، 1969م، ص. 118، 119.

(1) م.ه. حارث: التاريخ المغربي القديم...، ص. 236.

***إيتيوس (Aetius): هو فلافيوس إيتيوس أحد أبرز القادة العسكريين الرومان عاش في القرن الخامس حوالي (341م-454م)، وكان له دور محوري في الدفاع عن الإمبراطورية ضد الغزوات الجرمانية خصوصا هجمات الهاون والوندال. أنظر: م. م. الحويري، المرجع السابق، ص. 164.

(2) Procopius, III, 27-29.

(3) محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال إفريقيا. القاهرة، دار المعارف، 1985، ص. 20.

(4) م.ه. حارث: التاريخ المغربي القديم...، ص. 236، 237.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

وجد بونيفاسيوس في الوندال غايته المنشودة فأرسل بطلب المساعدة. وقد توصل إلى عقد اتفاقية مع الوندال يقضي أن يتولى جنزريك (Genseric) (***) وأخيه جونثاريس (Gontharis) وبونيفاسيوس (Bonifacius) حكم شمال إفريقيا بواقع ثلث الأراضي لكل منهم. وإذا هوجم أحدهم من عدو فعلى الثلاث أن يتحدوا معا ضد هذا العدو. كما تعتمد بونيفاسيوس بتقديم كافة الوسائل اللازمة لعبور الوندال إلى الساحل الإفريقي⁽¹⁾.

والحقيقة أن جنزريك لم يكن ينتظر هذه الدعوة للنزول بل كان يستعد لذلك من زمن بعيد. وذلك بسبب سهول إفريقيا الخصبة، ولأن القوط سكان اسبانيا الأصليين قد ضاقوا ذرعا بهؤلاء الغزاة المتوحشين⁽²⁾. كما يذكر جوليان في كتابه "تاريخ شمال إفريقيا" أن إفريقيا جلبت قلب ملك الوندال. كما جلبت من قبله قلب ملوك القوط، خاصة وقد كان الظرف مناسباً. وعلاوة على تمرد بونيفاسيوس، كانت الثورات النوميديّة والمورية المزمنة وانتفاضة الأقوام التي أرهقتها ضرائب الإمبراطور وإرهاب الدوناتيين الذين كانوا يستغلون جميع الفرص ليعبروا عن سخطهم إزاء السلطة المركزيّة. وكانت إفريقيا بأجمعها تتوق على غرار حاكمها إلى الاستقلال السياسي. ومن الطبيعي أن يتوقع من تحدثه نفسه بالإغارة على هذا البلد مقاومة ضعيفة ومساعدات ثمينة⁽³⁾.

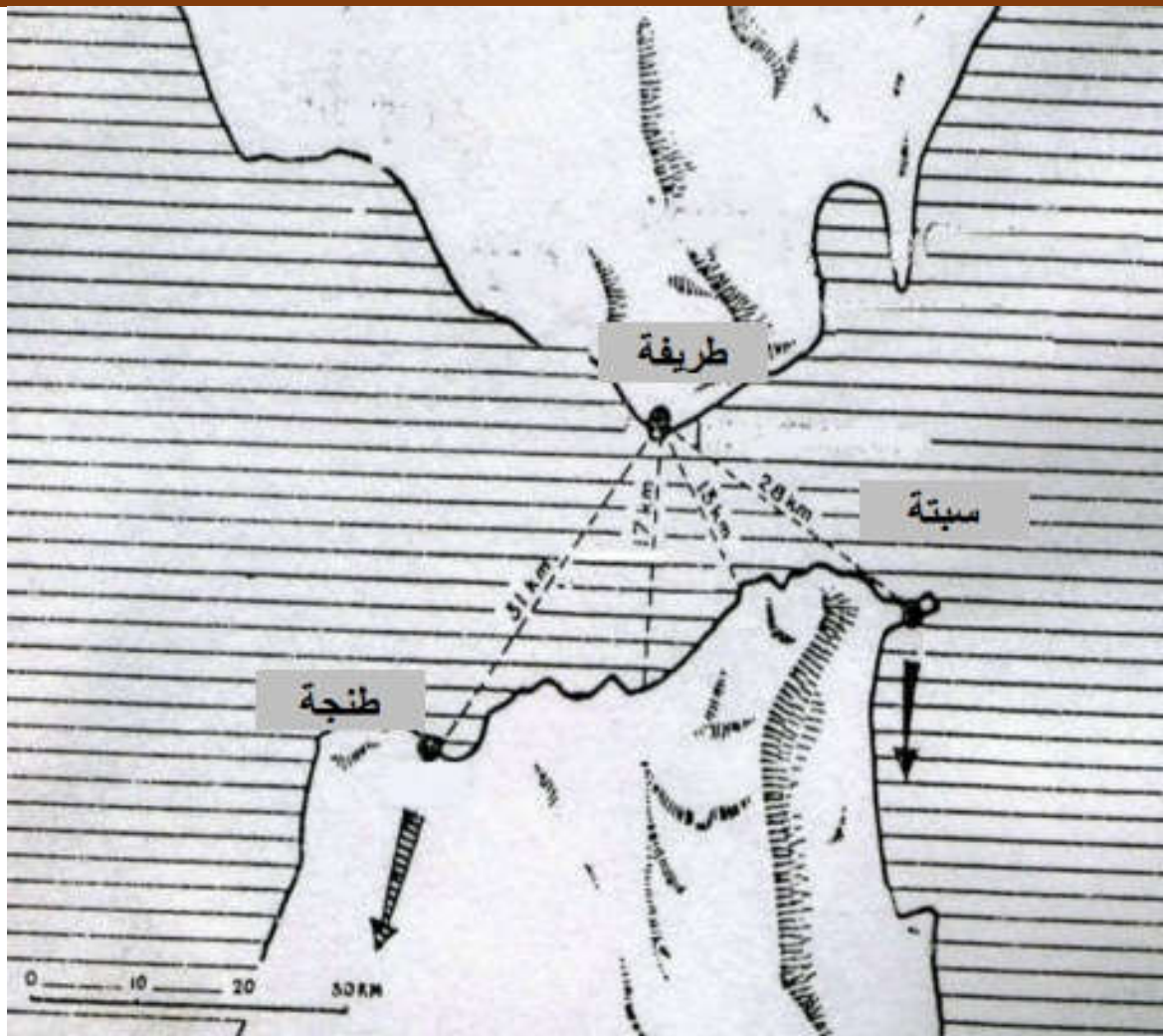
** جنسريق (Genseric): هو قائد قبيلة الوندال وأحد أبرز زعماء القبائل الجرمانية. ولد حوالي سنة 389م وتوفي سنة 477م حيث أسس مملكة الوندال في شمال إفريقيا عاصمتها قرطاج سنة 439م. أنظر: بيتر هيدر: سقوط الامبراطورية الرومانية، تاريخ جديد لروما والبرابرة، تر: سامي الموصلي. بيروت، لبنان، دار التنوير، 2016، ص.ص. 332-340.

(1) م. س. عمران: المرجع السابق، ص. 22.

(2) نفسه، ص. 118، 119.

(3) ش. أ. جوليان: المرجع السابق، ص. 235.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري
وتصاعد الهجمات الجرمانية



الشكل 2: الخريطة توضح مسار وجهة الوندال نحو شمال إفريقيا⁽¹⁾.

(1) محمد صالح العود: التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، رسالة الماجستير. جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009، ص.55.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

- حملة الوندال على المغرب القديم:

لقد كانت بلاد المغرب القديم تابعة للإمبراطورية الرومانية، ولم تصل إليها الغزوات الجرمانية لفترة طويلة، غير أن محاولات الاريك (Alaric)* وواليا (Wallia) أظهرت أنه بالإمكان الوصول إليه. وكان الوندال هم الذين قاموا بالمحاولة الثالثة وقد نجحوا في العبور إلى المغرب القديم واتخذوا منه موطنًا ظل الأكثر من 100 سنة⁽¹⁾.

عبر جنزريك مضيق جبل طارق في ماي 429م، رفقة جنوده الذين قدروا بـ 80 ألف جندي. ويذكر بوسيديوس أن جيش الوندال كان يتألف من الوندالوالآن (Alanii) إضافة إلى مجموعة قوية من القوط⁽²⁾. لكن سرعان ما تضاعفت قواته بمن انضم إليه من الأهالي الذين عانوا من الرومان الذين قاموا بإبعادهم من أراضيهم وسلبوا خيراتهم. إضافة إلى الرومان الذين فضلوا فوضى الوندال على قساوة الإدارة الرومانية. ومن كل الذين وقفوا إلى جانب الوندال نذكر الدوناتين المتعطشين للانتقام من الكاثوليك الذين شردوهم وجردوهم من ممتلكاتهم⁽³⁾.

ومنذ أن وطأت جحافل الوندال إلى أرض موريتانيا الطنجية قبل عليهم النوميديون والمور وأعانوهم لقهر الرومان إذ كانت تجمعهم نظرة واحدة وهي عداوتهم للمسيحية فضلا عن الكراهية التي يكنها كلا الطرفين للرومان⁽⁴⁾.

كانت حالة من الاضطرابات المستمرة منذ أكثر من قرن من الزمن قد جعلت إفريقيا الرومانية بالنسبة لجيش كبير فريسة سهلة للاستيلاء عليها. كما أن الحروب الأهلية مهدت الطريق

*ألاريك (Alaric): هو قائد روماني ولد حوالي 370م، وهو من أسرة أرستقراطية، وهو أحد القادة البارزين في عهد الإمبراطور ثيوديزيوس، أنظر الموسوعة الحرة: الموسوعة الحرة ويكيبيديا: www.wikipedia.org

(1) م.م.د. المشرقي: المرجع السابق، ص. 19.

(2) A. H. Merrills, Vandals, Romans and Berbers. New Perspectives on Late Antique North Africa. Vermont, USA: Ashgate, 2004, pp. 38-42

(3) م.ه. حارش: التاريخ المغاربي القديم...، ص. 239، 240.

(4) م.م.د. المشرقي: المرجع السابق، ص. 120.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

لغزو الوندال الذين كان بإمكانهم أن يأملوا في الحصول على دعم شعب بأكملهم المنفيين الذين اضطروا إلى الترحيب بهم كمحررين⁽¹⁾.

ويبدو أن الوندال لم يصطدموا بمقاومات تذكر قبل الوصول إلى حدود نوميديا واحتلال كل من موريطانيا الطنجية وموريطانيا السطائفية. ثم اتجهوا نحو الجنوب فاستحوذوا على أوزيا Auzia (سور الغزلان) وسطيف والمدينة⁽²⁾.

ما لبث الوندال أن قاموا بأعمال وحشية ضد الأهالي (Les indigènes)، فذبحوا الشيوخ وقتلوا الأطفال وانتهكوا الحرمات، بل ومدو أيديهم على النساء الحوامل يستخرجون منها أجنة يحطمون رؤوسها الصغيرة على الأرض، ويرمون لحمها للكلاب، فلم يتركوا ورائهم إلا البأس والخراب⁽³⁾.

وكان بونيفاسيوس يشهد أعمال العنف البشعة التي كان يقوم بها الوندال، فأخذ الندم أخيرا على الاستتجاد بهم. وبالرغم من أنه كان يأمل أن يقف هؤلاء عند الحد الذي اتفق معهم عليه فلا يتجاوزوه شرقا، لكن جيوش جنزريك الظافرة لم تقف عند هذا الحد الغربي من ولاية نوميديا. وهنا انقلب التحالف إلى عدااء سافر فقام بونيفاسيوس بالتخلي عن معاهدته مع الوندال وانتظم إلى جانب الرومان بعد أن اعفت عنه بلاكيديا، وعهدت إليه بقيادة الجيوش الرومانية كلها بينما فيها من أجناد قوطية مرتزقة⁽⁴⁾.

(1) - A. H. Merrill, op. cit., p. 22

(2) ويزة أيتعمارة: "مقاومة الأفارقة للتواجد الوندالي في إفريقيا"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 2019، ص. 280.

(3) م. م. د. المشرقي: المرجع السابق، ص. 120.

*الجنود المرتزقة: هم مقاتلون يستأجرون من قبل دولة أو قوى غير دولتهم الأصلية للمشاركة في نزاعات عسكرية مقابل أجر دون دافع وطني أو ولاء سياسي. وقد لعبت دورا بارزا في العصور القديمة والوسطى حيث استعانت بهم الإمبراطوريات لتعويض النقص في جيوشها النظامية أو لتعزيز قواتها في الحروب. أنظر: ز. حسن: تاريخ العلاقات العسكرية في العصور القديمة. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004، ص. 112-115.

(4) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير "العصر الإسلامي". بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ج. 2، 1981، ص. 10، 09.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

ولما أحسن الوندال بذلك بدأت المعارك تتجدد فحدثت المعركة الواقعة بالقرب من مدينة هيبوريجيوس (عنابة) وكان بونيفاسيوس من أكثر المتحمسين لحرب الوندال، ولكنه هزم وانسحب إلى مدينة هيبوريجيوس التي قام جنزريك بحصارها في شهر ماي 430م ورفع في يوليو 431م⁽¹⁾. وفي عام 431م تدخلت قوات الامبراطورية الشرقية بقيادة أسبار (Aspar)، الذي نزل بقرطاج وانظم بجيشه الى بونيفاسيوس ولكنها انهزما في نفس السنة⁽²⁾. وفي هذه المرحلة عاد بونيفاسيوس إلى إيطاليا فاستقبلته بلاكديا وسلمته القيادة العسكرية. وقامت بعزل ايتيوس، غير أن هذا القرار تلقى الرفض. فقامت حرب بينه وبين بونيفاسيوس واصطدم الطرفان في معركة قرب أريمينوم (Arminium) الواقعة شمال الساحل الشرقي لإيطاليا إلى الجنوب من رافينا بحوالي خمسة وثلاثين ميلا. انتهت بانتصار بونيفاسيوس إلا أنه توفي بعدها بقليل بسبب إصابة تعرض لها في الحربينما فر ايتيوس إلى دلماشيا، في حين سقطت مدينة هيبوريجيوس في يد الوندال بينما ظلت مدينتي قرطاج وكرطا (قسنطينة) تقاوم جنزريك. ففي ضل الصراع الدائر بين بونيفاسيوس وايتيوس انتهز الوندال الفرصة ووسعوا غزوهم لأقاليم نوميديا⁽³⁾.

وفي سنة 435م تم إبرام معاهدة سلام بين جنزريك وتريجيتيوس في هيبوريجيوس. تم بموجبها الاتفاق على أن يمنح الإمبراطور للغزاة الجدد جزءا من إفريقيا مقابل أن يدفع الوندال الجزية ويسلموا هونيريك الابن الأكبر لجنزريك كرهينة لحسن سلوكه. ومن المحتمل أن المنطقة التي تم التخلي عنها تتكون من الموريتانيات الثلاثة⁽⁴⁾.

وكان هدفه من قبول هذه الاتفاقية هو كسب الوقت ليتمكن من تنظيم صفوف جيشه استعدادا للمعركة الفاصلة. فالاتفاقية كانت بمثابة هدنة مؤقتة تحميه من تدخل الإمبراطور الروماني وقائده

(1) م. س. عمران: المرجع السابق، ص. 28.

(2) -A. H. Merrills, op. cit., p. 42

(3) م. س. عمران: المرجع السابق، ص. 28.

(4) -A. H. Merrills, op. cit., p. 78

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري وتصاعد الهجمات الجرمانية

اينتيوس، وبذلك فإنه تظاهر بقبول شروطها الجائرة وهو يضمّر في قراره احتلال ولاية إفريقيا الغنية بالقمح. وعندما أصبح الوقت مناسباً فاجأ القوات الإمبراطورية بضربته الكبرى دون سابق إنذار إذ انقضّ بجيشه على قرطاجة واستولى عليها في 19 أكتوبر 439م⁽¹⁾ دون مقاومة تذكر، وأخذ بعدها يعد لمهاجمة جزر البحر المتوسط بعد أن جهز لذلك أسطولاً.

ففي سنة 455م استولى الوندال على ما تبقى في يد الرومان بموجب معاهدة 442م على إقليم طرابلس والموريتانيات الثلاث، ومدوا نفوذهم على كل الإقليم الشرقي من قانس إلى قلاع الخوة فيلان (Alae Philanorum)⁽²⁾.

في شمال إفريقيا أقام جنزريك مملكة وندالية عاصمتها قرطاج استطاعت بسط نفوذها على الحوض الغربي للبحر المتوسط وورثها عنه أبناؤه وحفدته واستمرت إلى أن قضى عليها القائد البيزنطي بيليزاريوس 533م في سنة بعد أن تخلى عن مساندتها المور⁽³⁾.

(1) م. س. عمران: المرجع السابق، ص. 241.

(2) م. ه. حارش: التاريخ المغاربي القديم...، ص. 241.

(3) م. اللبار: المرجع السابق، ص. 171، 172.

الفصل الثالث: نهاية السلطة الرومانية في المغرب القديم في ظل الضعف العسكري الإمبراطوري
وتصاعد الهجمات الجرمانية



حدود الإمبراطورية الرومانية بعد تكوين مملكة الوندال⁽¹⁾.

(1) م.م. الحويري: المرجع السابق، ص. 107

الخاتمة

الخاتمة:

على ضوء ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة يتبين إن مرحلة أواخر الاحتلال الروماني المغرب القديم ليست مجرد فترة عابرة، بل تعتبر محطة مفصلية كان لها الأثر البالغ في مسار تطور المجتمع المغاربي القديم، فقد كشفت هذه المرحلة عن هشاشة التواجد الروماني في المنطقة خاصة أمام الإصرار المستمر من طرف السكان النوميديين والمور على الدفاع عن أراضيهم وكيانهم الثقافي والسياسي.

ما إن توفر المغرب القديم على موقع إستراتيجي مهم وخيرات طبيعية، أصبح محل أطماع الإمبراطورية الرومانية الذي بدأ بتدمير قرطاج سنة 146 ق.م، ثم تحول الى جزء من الإمبراطورية الرومانية.

إن من بين مظاهر سياسة الرومنة في بلاد المغرب القديم هو تحويل المقاطعات الأفريقية إلى مقاطعات تابعة للإمبراطورية الرومانية أثناء العصر الجمهوري والعصر الإمبراطوري الأول، وفي العصر الإمبراطوري الثاني تغيرت الخارطة السياسية للمغرب القديم بدءا من عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس، ولقد جاءت هذه الإصلاحات رغبة للحفاظ على وحدة الإمبراطورية وتماسكها. كما عرفت الأوضاع الاقتصادية تحولات عميقة عكست التغييرات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة، فروما كانت تسعى من البداية إلى الاستحواذ على أراضي المغرب القديم رغبة في الاستثمار في مواردها الطبيعية خاصة في فترات الأزمات الداخلية التي تعرضت لها، كما تعتبر الضرائب التي فرضها الرومان على الأشخاص والأراضي من بين الأهداف الحقيقية للتوسع الروماني في المنطقة.

تضافرت عدة عوامل اجتماعية واقتصادية ودينية في ظهور حركة عرفت باسم حركة الدواوين التي برزت لمناهضة السلطة الرومانية، نظرا لشدة الاضطهادات وسوء معاملتهم إلى جانب انتشار الفقر والبؤس والشقاء في المجتمع فكانت هذه الحركة تهاجم كبار الملاكين وتسعى إلى مساندة الفقراء والفلاحين المستضعفين، وتمكنت هذه الأخيرة من تنظيم حركة

اجتماعية ضمت جمهورا واسعا من العمال الريفيين الأحرار والفلاحين من نوميديا وموريطانيا السطائفية سعيا منهم لإصلاح الأوضاع وتطبيق العدالة الاجتماعية.

تعتبر حركة الدواوين استمرارا لحركات المقاومة النوميديّة-المورية ضد الاحتلال الروماني ومما زاد من قوتها هو تحالف الدواوين مع الدوناتيين لزيادة قوة حركتهم وشموليتها وتعد أحداث باغاي سنة 347م نقطة تحول في مسار العلاقات بين الدواوين والدوناتيين التي كان يسودها التوتر والنفور، إلا أنه بعد هذه الأحداث شهدت تحالفا وتقاربا قويا ساهم في نجاح هذه الثورة التي انتشرت في جميع أنحاء إفريقيا.

كما ظهرت عدة انتفاضات ومقاومات من السكان المحليين في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي والتي كانت سببا غير مباشر لزال الإمبراطورية الرومانية من بينها ثورتى الأخوين فيرموس وجيلدون، اندلعت من أسرة حليفة للرومان وكان من بين أهم أسبابها سياسة التفرقة بين أبناء الملك نوبل التي نجح فيها رومانوس وأشعل نار الفتنة بينهم حول إرث والدهم متسببا بذلك في قتل سماك من طرف أخيه فيرموس حيث كان ذلك سببا في بداية ثورته ضد الرومان.

وبعد مدة دامت ثلاث سنوات من هذه الثورة قتل فيرموس نفسه نتيجة اغتياله من طرف إيغمازن الذي تحالف مع رومانوس للقضاء عليه. انقلب جيلدون على السلطة الرومانية بعدما كان متحالفا معها ضد أخيه فيرموس في ثورته، وقطع عليهم المؤن بعد أن عرف هذا المناضل نوايا الرومان الخبيثة معلنا بذلك ثورة جديدة ضدهم، ساندته فيها الدواوين والدوناتيين بهدف إنهاء الوجود الروماني، إلا أنه لقي نفس المصير مثل أخيه فيرموس.

ومما سبق يتضح أن السبب الرئيسي في فشل الكثير من الحركات النضالية وخضوع النوميديين والمور للمحتلين الرومان هو التناحر حول المصالح الانية الضيقة والدخول في تحالفات معادية دون وقفة للتفكير في حل المشاكل والوحدة لاستغلال ثرواتهم الطبيعية. إضافة الى التناحر على المصالح الضيقة وتطبيق سياسة عدو العدو صديق الطبقة من طرف ملوك

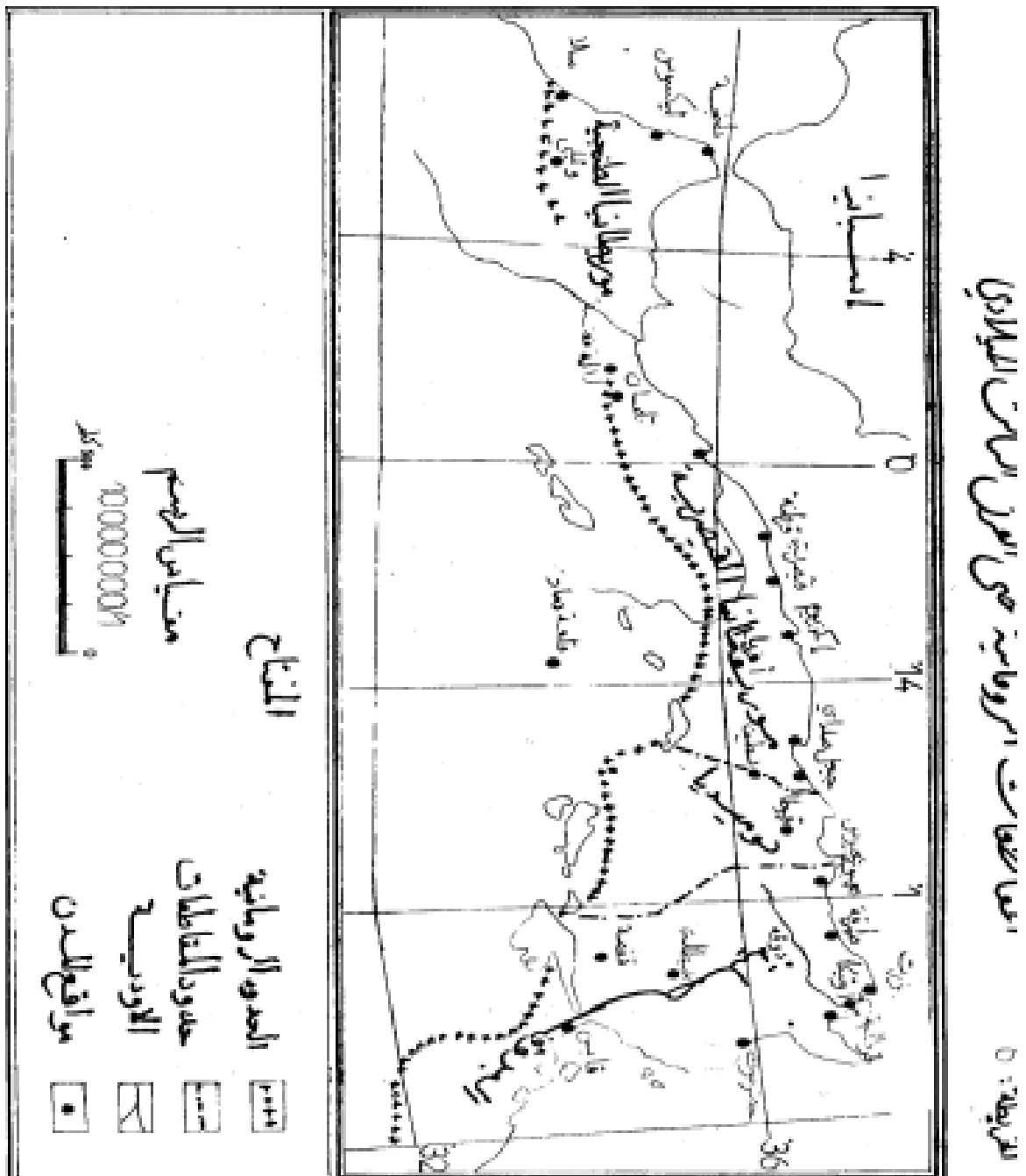
المغرب القديم منذ المقاومة النوميديّة بزعامة الملك النوميدي يوغورطة، يتضح أن سبب ضعف الدفاع على سيادة المغرب القديم هو ضعف الجيوش النوميديّة عددا وعتادا مقارنة بالغزاة الاجانب ومنهم الرومان.

على امتداد القرنين الثالث والرابع بدأت تظهر ملامح تراجع وضعف متزايد للسلطة الرومانيّة، فقد أدى تفاقم الأزمات الداخليّة والانقسام السياسي ووصول النساء البعيدة عن قيادة الجيوش وخوض المعارك الى العرش الإمبراطوري، بالإضافة إلى الانشقاق الذي ألقى بظلاله على الكنسية وتكرار الهجمات الجرمانية، كلها أدت إلى تراجع النفوذ الإداري والعسكري حيث سهلت هذه الظروف ومهدت الطريق لتحركات الوندال لغزو المغرب القديم وإزاحة بقايا الإمبراطورية الرومانيّة، وهذا من خلال استتجاد السكان المحليين بهم من أجل القضاء على عملية الاستغلال التي كان يعاني منها المغاربة.

ومن خلال هذا البحث يتضح ان السبب الحقيقي لتقويض السلطة الرومانيّة في المغرب القديم من طرف الوندال هو تناحر قادة الجيوش الرومانيّة على ثروات المغرب القديم بما فيها مخازن المواد الغذائيّة المبنية منذ العصر الإمبراطوري الأول وذلك أثناء ضعف السلطة الامبراطورية في روما كما أنه من غير المنطقي أن يرتكب الوندال الاعمال الوحشية ضد النوميديين والمور نظرا لعدائهم للرومان ودخولهم تحت راية الحركة الدوناتيّة-الدواريّة.

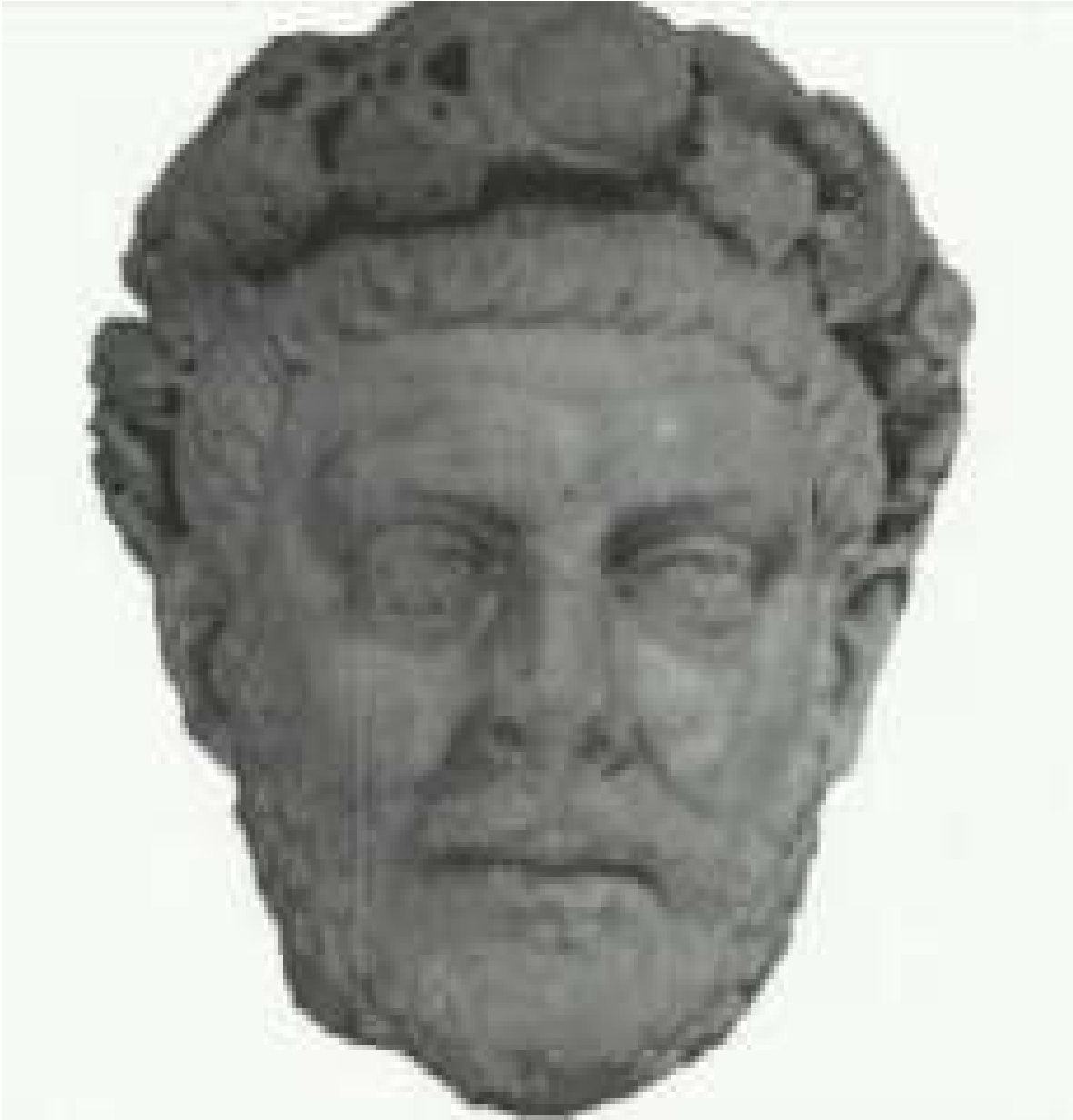
الملاحق

الملحق 2: المقاطعات الرومانية في القرن الثالث الميلادي⁽¹⁾.



(1) م. ه. حارش: المرجع السابق، ص. 199.

الملحق رقم 5: تمثال الإمبراطور ديوكليتيانوس (284م-305م)⁽¹⁾



الملحق رقم 6: تمثال القائد الروماني ايتيوس⁽¹⁾.

(1) ل. سايجي وك. خلوز: المرجع السابق، ص. 21.



الملحق 7: عملة رومانية من عام 430م تحمل صورة للصليب المسيحي وصورة للإمبراطورة
غالا بلاكيديا⁽²⁾.

(1) ل. سايغي وك. خلوز: المرجع السابق، ص. 21.

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أطلع عليه في 16 جوان 2025 على 17:10.



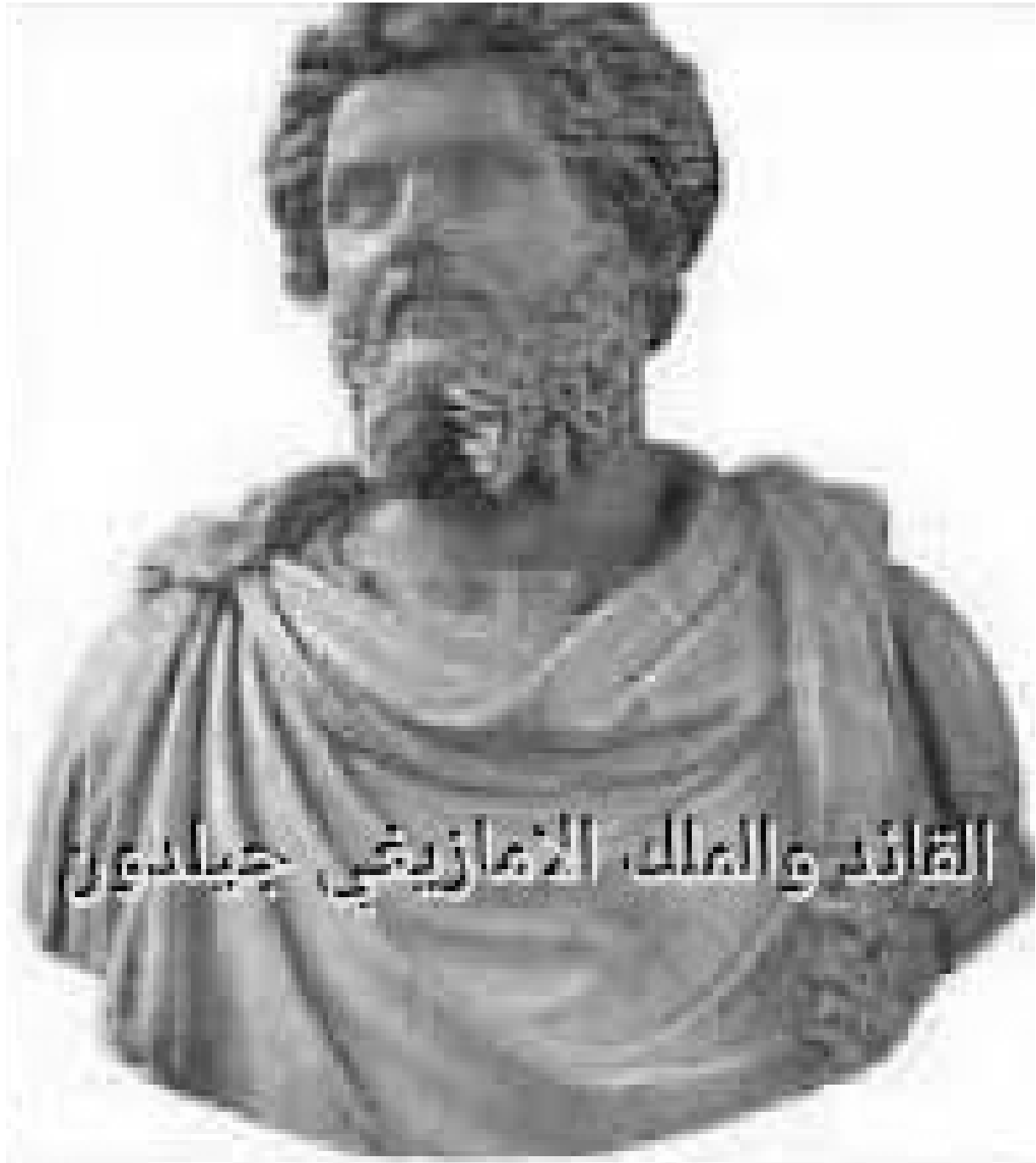
الملحق 8: صورة للقائد الموري فيرموس⁽¹⁾.

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أطلع عليه يوم 16 جوان 2025 على 17:20.



الملحق 9: صورة للقائد الموري جيلدون⁽¹⁾.

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا: ، أطلع عليه في 16 جوان 2025 على 17:35.



الملحق 10: عملة رومانية تحمل صورة الامبراطور فالانتينيانوس الثالث⁽¹⁾.



(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أطلع عليه في 16 جوان 2025 على 18:06.

الملحق 11: صورة للقائد الروماني هونوريوس⁽¹⁾.



(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أطلع عليه يوم 16 جوان 2025 على 18:10.

الملحق 12: الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني الميلادي⁽¹⁾.



(1) م. م. الحويري: المرجع السابق، ص. 105.

البیو غرافیا

الببليوغرافيا:

I. المصادر:

أ-المصادر المترجمة الى اللغة العربية:

- أوغسطين: اعترافات القديس أوغسطين، ترجمة، الخوري يوحنا الحلو. بيروت، لبنان، دار المشرق، ط.4، 1991.

- قيصري (ي.): تاريخ الكنيسة، تع: القمص مرقس داود. القاهرة، القاهرة الحديثة للطباعة، ط.2، 1979.

ب-المصادر المترجمة الى اللغات الاجنبية:

- Ammianus(M.): the Roman History of Amminanus Marcellinus during the Reigns of the Emperors Constantius, Julian, Jovianus, Valentinian, and Valens, transl. by C. D. Jounge. London: George Bell, 1908
- Augustin: Oeuvres complètes: évêque d'Hippone, traduit par: Charpentier et autres. Université de ST.Micheal's Collage. Toronto, John MacKelly Library, 1872.
- Procopius, History of the Wars, transl. by H. B. Dewing. New York:Heinemann, 1916

II. المراجع:

أ-باللغة العربية:

- ابراهيم (ر.ل.أ.): التاريخ الروماني. بيروت، لبنان، ط.1، 1992.
- انديشه (أ.م.): التاريخ الاقتصادي والسياسي للمدن الثلاث.بنغازي، ط.1، 1993.
- حارش(م.ه.): التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي. الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992.

- حافظ (أ.غ.): الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تق: حسن أحمد الشيخ. الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 2007.
- حبشي (ح.): دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. القاهرة، دار النهضة العربية 1994.
- حجاج (ي.): اجدار بني قطويم. دراسة في تاريخ آخر قبيلة بونية وبروزها من ثورة الدواوين الى عهد الرستميين. بنغازي، منشورات مكتبة المسلاتي للدراسات والترجمة والنشر، ط.1، 2008.
- حركات (أ.ب.): المغرب عبر التاريخ، ج. 1. الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 2000.
- حسين (ز.): تاريخ العلاقات العسكرية في العصور القديمة. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004.
- حويري (م.م.): رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. القاهرة، دار المعارف، ط.3، 1995.
- سالم (س.ع.): المغرب الكبير "العصر الإسلامي". بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981.
- شنييتي (م.ب.): التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- _____: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات. الجزائر، دار الحكمة، 2003.
- طرخان (ع.أ.): دولة القوط الغربيين، ج. 1. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1985.
- عاشور (س.ع.ف.): أوروبا في العصور الوسطى: التاريخ السياسي. القاهرة، مكتبة الأنجلو-مصرية، 2009.
- عمران (س.م.): مملكة الوندال في شمال افريقيا. القاهرة، دار المعارف، 1985.
- عقون (م.ع.): الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.
- مبكر (م.): شمال إفريقيا القديم حركة الدواوين وعلاقتها بالدوناتية 305-429م، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 34. الرباط، جامعة محمد الخامس، ط.1، 2001.

- مرسى (ش. م. م.): الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى. القاهرة، دار الكتب الجامعية، 1975.
- مشرقى (م. د.): إفريقيا الشمالية في العصر القديم. بيروت، لبنان، دار الكتب العربية، ط. 1969.
- ناصري (أ. ع.): تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري. القاهرة، دار النهضة العربية، ط. 2، 1991.
- نوار (ع. ع. س.): تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. القاهرة، مكتبة الانجلو-مصرية، ط. 5، 1999.

ب-المراجع المترجمة الى اللغة العربية:

- بيتر (ه.): سقوط الإمبراطورية الرومانية، تاريخ الجديد لروما والبرابرة، تر: سامي الموصللي. بيروت، لبنان، دار التنوير، 2016.
- بوزير (ج.): تاريخ الإمبراطورية الرومانية، تر: كمال فهمي النجار. القاهرة، دار الشروق، 2005.
- جوليان (ش. أ.): تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة. تونس، الدار التونسية للنشر، ط. 4، 1983.
- روستوفتزن (م.): تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج. 1، تر. مرزكي علي ومحمد سليم سالم. القاهرة، دار النهضة العربية، 1957.
- هينز (د.): أثار طرابلس الغرب، تر: عديله حسن مياس، مراجعة نور الدين الشللي وطه باقر. طرابلس، ليبيا، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، ب.ت.

ج-باللغة الأجنبية:

- Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique. Paris, Ed, Arts et Métier graphique, 1995.
- Gwatkin (H. M.) and Witney (G. P.), Cambridge Medieval History, Vol. I: The Christian Roman Empire and the Foundation of the

Teutonic Kingdoms. London: MacMillan, 1911

- Martrye (F.) : Genseric: la conquête vandale en Afrique et la destruction de l'Empire d'Occident. Paris, 1907.
- Merrills (A.H): Vandals, Romans and Berbers. Vermont, USA: Ashgate, 2004.

III. الرسائل الجامعية والأطروحات:

- باحمد (س.): الانونة في المغرب الروماني: الضرائب العينية على إنتاج القمح وزيت الزيتون (146 ق.م.-235م)، رسالة الماجستير في التاريخ القديم. جامعة الجزائر 2، 2008-2009.
- بن علل (ر.): العربات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، رسالة الماجستير في التاريخ القديم. جامعة الجزائر 2، 2000-2001.
- سايعي (ل.) وخلوز (ك.): حركة الدواوين (305م-429م)، مذكرة الماستر. جامعة مولود معمري-تيزي وزو، 2022-2023.
- سعد (ي. م.): النظم الإدارية والمالية في ولاية إفريقيا الرومانية 146 ق.م.-248م، رسالة الماجستير. جامعة المرقب، 2007.
- سلامي (خ.) وآخرون: نهاية الإمبراطورية الرومانية سنة 429م في بلاد المغرب القديم، مذكرة الماستر. جامعة ابن خلدون-تيارت، 2021/2022.
- عمران (ع. ح.): الديانة المسيحية في المغرب القديم: النشأة والتطور 180-430م، أطروحة الدكتوراه. جامعة منتوري-قسنطينة، 2012-2013.
- العود (م. ص.): التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م، رسالة الماجستير. جامعة منتوري-قسنطينة، 2009-2010.
- عون (ن.): الزراعة الشجرية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني 146 ق.م.-430م "الزيتون والكروم"، رسالة الماجستير. جامعة الجزائر 2، 2011-2012.
- عيش (ي.): الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة الدكتوراه. جامعة منتوري-قسنطينة، 2006-2007.
- كابلي (ف.): الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم وأثرها على المجتمع، رسالة الماجستير. جامعة الجزائر 2، 2010-2011.

- اللافي (س. م.): إصلاحات ديوكليتيانوس وأثرها السلبية والإيجابية على الإمبراطورية الرومانية 284م-305م، رسالة الماجستير. جامعة المرقب، 2008.
- ميسوعي (أ.). اسماعيلي (ل.): إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس وأثرها على المقاطعات الرومانية "مقاطعات بلاد المغرب القديم نموذجا" 284م-305م، مذكرة ماستر. جامعة حمة لخضر-الوادي، 2019-2020.
- نورالدين (ك.): مصالح إدارة الأنونة في روما والمقاطعات الرومانية مقاطعة إفريقيا بالخصوص خلال العصر الإمبراطوري (27ق.م.-393م)، أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر 2 ، 2017-2018.
- IV-الدوريات :**
- اكتيبي (ح. م.): "أهم مظاهر الحياة التجارية في لبدة الكبرى"، مجلة الجامعة الأسمرية، جامعة المرقب، ع.29، 2014.
- انديشه (أ. م.): "الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي"، مجلة البحوث الأكاديمية.
- أويحي (س.): "ثورة جيلدون ضد الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا (393-398م)"، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر 2، مج.8، ع.1، 2024.
- _____: "مدينة باغاي، قلعة الدوناتيين"، مجلة التاريخ المتوسطي. جامعة الجزائر 2، مج.3، ع.1، 2021.
- آيت عمارة (و.): "مقاومة الأفارقة للتواجد الوندالي في إفريقيا"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع.9، 2019.
- آيت مغار (س.): "الماء والحياة الاقتصادية في المغرب القديم"، تونس، معهد الآداب العربية، 2015.
- بالي (ن.)، شلاقه (س.): "الأسواق الرومانية ببلاد المغرب القديم ودور النخبة المحلية في إنشائها (السوق الأغسطية نموذجا)"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، مج.12، ع.2، 2021.
- برنسي (ع. ل.): "الاقتصاد الضيعي ومقولة الازدهار الزراعي بإفريقيا الرومانية"، مجلة الأمل، مج.23، ع.44، 2015.

- تازي (ع. ه.): "شمال إفريقيا والوندال (439-534)"، المجلة التاريخية المصرية، مج.11، 1963.
- تقرحيت (ص.)، مهنّتل (ج.): "صناعة الأمفورات في العالم القديم بين الفن والحاجة الاقتصادية"، مجلة الإنسان والمجال، مج.8، ع.1، 2022.
- حارش (م. ه.): ثورة فيرموس 372-375م، الجزائر، 1989.
- حمداش (ف.): "الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية من خلال المواد الأثرية"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، الجزائر، ع.10، 2016.
- خنيش (ع. ف.): "التنظيم الإداري للإمبراطور ديوكليتيانوس في إفريقيا وظهور مقاطعة موريطانيا السطائفية"، مجلة هيرودوت العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.8، ع.3، جامعة عبد الحميد مهري - قسطينة، 2024.
- _____: "منظومة الاستغلال الزراعي في المغرب القديم"، مجلة البرادينغ، ع.2، 2016.
- زموري (خ.): "القديس أوغسطين ودوره في القضاء على الحركة الدوناتية (مناظرة قرطاج)"، مجلة تاريخ المغرب العربي، جامعة 8 ماي 1945 - قالمّة، ع.8، 2017.
- سعدي (س.): "الحصان النوميدي من خلال المصادر المادية"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، ع.27، 2018.
- شنيّتي (م. ب.): "وضعية الأرض وطرق استغلالها في بلاد المغرب (العهد الروماني-بداية الفتح الإسلامي)".
- عمران (ع. ح.): "من مقاومات الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا مع نهاية القرن الرابع الميلادي"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج.4، ع. جامعة محمد بوضياف - المسيلة، 1، جوان 2020.
- عولمي (ر.): "المقاومة المورية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم (ثورة الأخوين فيرموس وجيلدون 372-398م)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج.4، جامعة باتنة، جويلية 2022.

- _____: "حركة الدواوين الريفيين الأوراسيين في نوميديا أو محاولة ثورة اجتماعية في شمال إفريقيا (320 - 411م)", دورية كان التاريخية. القاهرة، مؤسسة كان للترجمة والنشر، ع.65، 2008-2024.
- _____: "من ثورات قبائل موريتانيا القيصرية ضد السلطة الرومانية خلال الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي ثورتي الأميرين فيرموس وجيلدون"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج.6، ع.2. جامعة باتنة 1، 2022.
- اللبار (م.): "الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية في أفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة (284-429م)"، مجلة المصباحية، سلسلة العلوم الإنسانية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ع.9، 2012.
- _____: "الوندال بين التاريخ والوندالية"، مجلة الأدب للعلوم الإنسانية. جامعة ابن طفيل-القنيطرة، ع.3، 2002.
- نور الدين (ك.): "نظام التموين في المقاطعات الرومانية "مقاطعة إفريقيا نموذجاً"، مج.13، ع.2، 2022.
- V -المواقع الالكترونية :**

-www.wikipedia.org
-www.chat.openai.com

ملخص الدراسة:

أ- باللغة العربية:

يتضح من هذه الدراسة أن العصر الإمبراطوري الثاني شكل محطة مفصلية في تاريخ المغرب القديم، إذ عرف تحولات سياسية واقتصادية عميقة أسهمت في تفكك البنية الاستعمارية الرومانية، كما أن تصاعد حركات المقاومة المحلية التي تجلت في تمردات قوية زعزعت أركان الحكم الروماني، مما عجل بانفصال تدريجي عن السلطة الرومانية.

لم تكن هذه التحولات مجرد أحداث ظرفية، بل مثلت بداية تشكل وعي سياسي جديد ومسار حضاري مستقل، حيث برز المغرب ككيان يسعى لاستعادة قراره وتحديد مصيره خارج إطار التبعية، وهكذا وقف المغرب القديم على أعتاب مرحلة جديدة ستتسم بتغيرات عميقة على يد قوى جديدة كالوندال ثم البيزنطيين.

الكلمات المفتاحية: المغرب القديم؛ الاحتلال الروماني؛ ديوكليديانوس؛ الدوارون؛ فيرموس؛ الوندال.

ب- باللغة الإنجليزية:

Abstract:

This study demonstrates that the Later Roman Empire represented a crucial period in the history of ancient Maghreb. It was marked by profound political and economic transformations that led to the disintegration of Roman imperial structures. Furthermore, the rise of local resistance movements, manifested in powerful uprisings, destabilized Roman rule, hastening a gradual separation from Roman authority.

These transformations were not merely circumstantial events but rather the beginning of a new political awareness and an independent civilizational trajectory. Ancient Maghreb emerged as an entity striving to reclaim its decision-making power and define its own destiny beyond dependency. Thus, ancient Maghreb stood on the threshold of a new phase characterized by significant changes brought about by new forces, such as the Vandals and the Byzantines.

Keywords: Ancient Maghreb; Roman occupation; Diocletian; Circumcelliones; Firmus; Gildon; Vandals.